# الفصل الخامس

## نظم النشاط التجاري البحري

## من القرن ٥ – ٧ هـ/١١ – ١٣ م

**أولاً – معاملات النشاط التجاري البحري:**

أ– وسائل المعاملات التجارية:

١ – الوثائق الورقية

٢ – العملات المعدنية

ب – مقاييس المعاملات التجارية:

١ – الموازين

٢ – المكاييل

٣ – الأطوال

جـ – أشكال المعاملات التجارية:

١ – البيوع

٢ – الشركة التجارية

**ثانياً – سلع النشاط التجاري البحري:**

أ – الصادرات

ب – الواردات

obeikan.com

## ثالثاً – الأسعار والضرائب:

أ – الأسعار

ب – الضرائب

obeikan.com

سوف نتناول خلال هذا الفصل جميع أوجه نظم النشاط التجاري البحري، وذلك من حيث معاملات هذا النشاط سواء وسائل أم مقاييس أم أشكال هذه المعاملات، كما سنتناول السلع المتداولة من خلال هذا النشاط سواء الصادرات أو الواردات، بالإضافة إلي تناولنا لأسعار تلك السلع والضرائب التي كانت تُفرض على هذا النشاط.

## أولاً– معاملات النشاط التجاري البحري:

يمكن عرض المعاملات التجارية للنشاط التجاري البحري لبلاد المغرب الأدنى من خلال ثلاثة عناصر رئيسية، وسائل المعاملات التجارية، ومقاييس المعاملات التجارية، وأشكال المعاملات التجارية، وذلك فيما يأتي:

### أ – وسائل المعاملات التجارية:

تعددت وسائل المعاملات التجارية البحرية ببلاد المغرب الادني وفي الموانئ الاجنبيه التي دخلت في نطاق ذلك النشاط التجاري للمغرب الادني، وقد تنوعت تلك الوسائل ما بين وسائل ورقية مثل الصكوك والسفاتج والعقود، وعملات معدنية سواء مغربية أم اجنبية، وسنعرض لكل منها.

#### ١ – الوثائق الورقية:

استعمل التجار في فترة الدراسة طريقة التعاقد الكتابي حفاظاً على الحقوق ولمواجهة متطلبات النشاط الاقتصادي المتزايد[١]، مما ساعد علي نمو الحركة التجارية في العالم الإسلامي عامة وبلاد المغرب خاصة[٢]؛ فقد استخدم أهل المغرب الصكوك أو الحوالات وخطابات الاعتماد وازداد الاعتماد عليها من قبلهم

---

١) ممدوح حسين علي حسين: مرجع سابق، ص٦٦٠، ٦٦١.

٢) محمد عبد المنعم الجمل: مرجع سابق، ص١٣٠.

Abraham L. Udovitch : Credit as a Means of Investment in Medieval Islamic Trade, Journal of the American Oriental Society, Vol. ٨٧, No. ٣ ,Jul. - Sep., ١٩٦٧ , p٢٦٢

لأنها كانت وسيلة من الوسائل المأمونة من الضياع والسرقة، حيث إستُخدمت الصكوك فى المعاملات التجارية كدفع الديون وفى أعمال البيع المختلفة[١]. وعُرفت هذه الوسائل في تعامل التجار المغاربة مع نظرائهم من التجار الأجانب في النشاط التجاري البحري، حيث عُرفت الصكوك وخطابات الضمان في تعامل التجار المغاربة مع نظرائهم التجار المصريين وتجار المدن الإيطالية[٢].

وكانت العادة أن التاجر المعروف إذا دخل السوق أودع ما معه من المال لدى أحد الصرافين، وأخذ بدله رقاعاً أو أوراقاً عليها طابع (ختم) الصراف يسجل فيها الحد الأقصى الذى يستطيع التاجر أن يتعامل به، وبهذه الرقاع يشترى ما يريد ويعطى البائع منها ما يساوى قيمتها. ويذهب الناس بهذه الرقاع إلى الصراف ليأخذوا قيمتها النقدية، وكان الناس يفعلون ذلك تفادياً لحمل مقادير كبيرة من العملة معهم أثناء وجودهم فى السوق وتعرضهم للصوص فى الزحمة، وكذلك ليوفروا الوقت الذى يضيع فى فحص العملة للتأكد من سلامتها فى كل حالة شراء. وفى آخر مدة السوق يعمل التاجر حسابه مع الصراف ويأخذ المتبقي له أو يدفع االزائد عليه؛ وهذه أشبه بعمليات "خطابات الضمان"[٣].

---

١) المازري: مصدر سابق، ص١٠٧– ١٠٨، عزيز سوريال عطية: مرجع سابق، ص١٧٩، ١٨٠، سامية مصطفى مسعد: مرجع سابق، ص ١٦٥، ١٦٦، عبلة محمد سلطان لطيف: مرجع سابق، ص١٢٦.

٢) عبد الهادى التازى: مرجع سابق، جـ٦، ص٢٥٢، جمال أحمد طه: مرجع سابق، ص ٢٣٩، عصمت عبد اللطيف دندش: مرجع سابق، ص٢١١، ٢١٢، حسن خضيري أحمد: مرجع سابق، ص١٤٥،

Goitein.S.D : jews and arabs. Pp.١١٨ ,١١٩

٣) المازري: مصدر سابق، ص٢٠٥، عبد الواحد المراكشى: وثائق المرابطين والموحدين، ص٦٠٧، الحبيب الجنحانى: مرجع سابق، ص١٠٧، حسين مؤنس: عالم الإسلام، ص٢٨٠، نريمان عبد الكريم أحمد: مرجع سابق، ص٢٢٠،٢١٩.

obeikan.com

وكان السعر السائد لعمولة صرف الصكوك والحولات١٠٪ في العالم الاسلامي. ولكي نتصور مدى الاتساع الدولي لهذا التصرف التجاري في تلك الفترة، علينا أن ننظر الجهات التي تنقل بينها رجال المال من سكان البصرة وأهل فارس، فهؤلاء ظهروا في كل مركز من مراكز التجارة، حيث تواجدوا في جدة عند نهاية طريق الحج وفي سجلماسة ببلاد المغرب وهم كذلك في طرابلس الغرب وبيروت ومصر(١).

وقد ورد ذكر الحوالات المالية في وثائق الجنيزة، فهناك اشارة الى مبلغ قدره مئه وخمسون ديناراً مغربيه، قام احد التجار في بغداد بايداعها عند احد الصيارفه ليقوم بتنظيم حواله ماليه بها الى احد مصارف مدينه القاهرة، كما اشارت وثيقه اخرى الى ان شركة مغربيه كانت تحول هباتها وتبرعاتها من مراكش إلى اعضاء لها في بغداد(٢).

كما كانت (العقود) التي تختص بنشاط التجاره البحرية للمغرب الأدنى من أهم وسائل هذا النشاط ، فاذا باع تاجر اجنبي أو محلي سلعة او اشتراها من احد من المشتغلين أو التزم شراء سلعة من سلع بلاد الحضرة كُتب له في ذلك عقد مشهود فلا يُفسخ عليه إلا أن ثبت دُلسة او ريبة او غشّ(٣). وكان الجنويون أول من عمل عقود التبادل التجاري والمالي مع تجار تونس، أما المرسيليون فقد وظفوا رؤوس أموال كثيرة في التجارة مع بلاد المغرب والنقل منها وإليها، ولدينا نصوص عشرين

---

١) أرشيبالد.ر.لويس: مرجع سابق، ص٢٦٣.

٢) خوله عيسى صالح الفاضلي: البريد التجاري في الدولة العربية الإسلامية من خلال المصادر التاريخية وسجلات الجنيزة (من القرن الرابع وحتى السادس الهجريين)، مجلة الباحث، كلية التربيه للعلوم الانسانيه، جامعة كربلاء، العدد الخاص بالمؤتمر، الجزء الثاني، العراق٢٠١٢م، ص ٩٠،

Goitein.S.D : Med, ٧١ .p.٦١ , Commercial and Family Partnerships , p ٣٣٥ .

٣) اتفاقية صلح بين الخليفة الحفصي ابي يحيي زكرياء وحكومة بيزه في عام ٧١٣ هـ، ص٨٦ – ٩٧.

عقد تجارة تحمل توقيعات تجار وأصحاب رؤوس أموال من الفرنج والمسلمين فيما بين عامي٦٠٨هـ/١٢١٢م و٦٣٩ هـ/١٢٤٢م[١].

**٢ – العملات المعدنية:**

كان نظام التعامل التجاري الدولي خلال فترة الدراسة يرتكز علي اهم وسيلة للتعامل ألا وهي العملات المعدنية خاصة الذهبية منها[٢]. وكانت العملات المُستخدمة في التعامل التجاري البحري متعددة المصدر والفترة نتيجة لطبيعة التجارة البحرية، فمنذ القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي بدأت النقود تسافر مع التجار، ومن كل الأنحاء سحبت نقود من كل الأنواع بواسطة التجارة الى المدن والأسواق التجارية[٣]. فنجد هناك عملات مغربية وأخرى إسلامية، وكذلك عملات أجنبية متنوعة، وسوف نعرض كل نوع من هذه العملات.

تُعد العملات المغربية من أهم تلك العملات نظراً لطبيعة جغرافيا وموضوع الدراسة، فقد كان انتقال الحكم من دولة إلى أخرى ومن حاكم لآخر في منطقة المغرب الأدنى أثره في تعدد العملات التي تدخل في مجال التجارة البحرية في منطقة المغرب الأدنى، ففي عصر بني زيري عرف المغرب الأدنى أنواع من النقود كان يتعامل بها، مثل سكة الفاطميين ثم سكة استقلال الزيريين عنهم، ثم سكة ملوك الطوائف؛ وسنحاول التعرف علي هذه الأنواع.

---

١) عبد الواحد المراكشي : وثائق المرابطين والموحدين، ص٢٣١.

٢) رسالة من التاجر محرز القابسي الي التاجر الكبير باج البيزي، تاريخها بعد عام ٥٩٧ هـ، ص٤٨ ، ٤٩، رسالة من التاجر المغربي هلال بن خليفة الجمونسي الي التاجر البيزي الكبير باج، مؤرخة بعد عام ٥٩٧ هـ، ص٥٠ – ٥٢، حسن خضيري أحمد: مرجع سابق، ص١٣٣، عبلة محمد سلطان لطيف: مرجع سابق، ص١٢٥، ١٢٦.

٣) هنري بيرين: مرجع سابق، ص١٠٩.

obeikan.com

أما سكة الفاطميين فقد ظهرت أثناء السيطرة الفاطمية على المغرب الأدنى حيث كانت الدنانير تُضرب باسم الخليفة الفاطمي، وكانت تلك النقود عبارة عن قطع مستديرة تفصل بين نصوصها حلقات من خطوط معدنية يتراوح قطرها بن ٢٠ ملم و٢٢ ملم أما وزنها فهو إما ٣,٦٢ غ أو ٤,٣٦ غ، وكانت هذه القيمة في حكم المعز بن باديس (٤٠٦ – ٤٥٤ هـ/ ١٠١٦ – ١٠٦٢م) حتى عام ٤٣٩هـ/١٠٤٧م[١]. ثم راجت دنانير ودراهم بني زيري وهم تحت تبعية الفاطميين في أسواق مصر، وكان الطلب عليها كبيراً في شكل مدفوعات لثمن البضائع المستوردة من مصر وسوريا والشرق عامة[٢].

وبعد أن أخذ المعز قراراً بالاستقلال عن الدولة الفاطمية أمر بتبديل السكة في ضوء القطيعة مع الفاطميين في مصر، حيث أحدث بعض الاصلاحات النقدية من ضرب دينار سمي بالتجاري[٣]، وربما يكون السبب وراء تسمية هذا الدينار

١) الرسالة – او السجل – المعروف باسم الهداية الامرية في ابطال الدعوة النزارية، قام بنشرها جمال الدين الشيال: مجموعة الوثائق الفاطمية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الاولي٢٠٠٢م، تحت رقم٤، ص٦٨، صالح بن قربة: المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي الي سقوط دولة بني حماد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر١٩٨٦م، ص٤٧٥ – ٤٧٦، عاطف منصور محمد رمضان: الكتابات غير القرآنية علي النقود الإسلامية في المغرب والأندلس، مكتبة زهراء الشرق، ط١، القاهرة ٢٠٠٢م، ص١٨٠.

٢) حسن خضيري احمد: مرجع سابق، ص١٣٦.

٣) ابن عذاري: البيان المغرب، جـ١، ص٢٧٨، الهادي روجي إدريس: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٥٩.

obeikan.com

بالتجاري هو بسبب استعماله في كل المعاملات هذا من الجهة والدفع به الى الرواج من جهة أخري[١].

وقد أقدم المعز بن باديس عام (٤٤٩هـ/١٠٥٧م) إلى إعادة ضرب نقود جديدة بعد خضوعه من جديد الي الفاطميين، وهذه الدنانير تشبه دنانير الفترة الأولى والفرق بينهما يكمن في مدينة الضرب اذ أصبحت تُضرب في مدينة المهدية، وجاءت تحمل نقود وخصائص ما قبل الاستقلال[٢]. من جانب اخر تضمنت فتوى مطولة للمازري نسخة محضر يتعلق بتقديم حساب مفصل ضبطه عامل ارتحل الي الإسكندرية، يمكن أن نستنتج من خلاله إشارة هامة حول المعادلة بين العملتين المصرية والافريقية في العهد الزيري (٤دنانير مصرية = ٦,٢٥ دنانير إفريقية) إلا أن تشويه النص يدعو إلى الحذر[٣].

وبعد غزوة بني هلال تعددت العملات ببلاد المغرب الأدنى، حيث ظهر ما يعُرف بعصر الطوائف وظهرت معه نقوده المتعددة والمزيفة؛ ومن العملات الرائجة في تلك الفترة الدنانير الرشيدية نسبة الي رشيد بن كامل من بني جامع صاحب سفاقس، وهناك الدنانير التميمية والدنانير السفاقسية المسماة بالربحية، ودنانير اخرى تسمى الثلثية ولواتية وسوسية وطرابلسية[٤].

---

١) ابن عذاري: المصدر السابق، جـ١، ص٢٧٨، صالح بن قربة: المسكوكات المغربية، ص٤٩٥، عبد المالك بكاي: مرجع سابق، ص٦٤، الهادي روجي إدريس: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٥٩.

٢) ابن عذاري: مصدر سابق، جـ١، ص٢٧٨، عبد المالك بكاي: مرجع سابق، ص٦٤.

٣) المازري: مصدر سابق، ص٢٨١، الهادي روجي إدريس: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٨٧.

٤) المازري: المصدر السابق، ص١٠٧، الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، جـ٢، ص١٥١.

وكان تعدد العملات وقلة جودتها في عصر الطوائف[١] يفسر لنا إحلال العملات الصقلية والرومية محل العملات المحلية، وفي إحدى وثائق الجنيزة التي يرجع تاريخها إلى عام٤٥٧ هـ/١٠٦٤م، أرسل تاجر تونسي إلى مصر أرباع الدينارات المسكوكة في بلرم بدلاً من الدينارات المسكوكة في المهدية، لأنه أيقن أن هذه الأخيرة لن يكون لها سوق في مصر[٢]. وقد ضرب ملك النورمان روُجار الثاني(٤٩٩ – ٥٤٩هـ/١١٠٥ – ١١٥٤م) ثم ابنه وليام (غليام) الأول (٥٤٩ – ٥٦١هـ/١١٥٤- ١١٦٦م) نقوداً ذهبية باسمهما في المهدية، وهي نقود عربية الصيغة مُقلدة بصورة تكاد تكون تامة عن دنانير الخليفة الفاطمي الظاهر (٤١١ – ٤٢٧هـ/١٠٢١–١٠٣٦م)[٣].

وكان الدينار المرابطي رائجاً في المغرب الأدنى[٤]. فقد ظل هذا الدينار المصنوع من الذهب الخالص ذات العيار الصحيح عملة قوية سليمة متداولة وعليها إقبال كبير فى بلاد الدولة المرابطية وخارجها، كما ظلت هذه العملة مستخدمة لعدة قرون حتى بعد سقوط الدولة المرابطية[٥]. حتى غدت من اكثر العملات الدولية تداولاً

١) المازري: مصدر سابق، ص١٠٧.
٢) حسن خضيري أحمد: مرجع سابق، ص١٣٨.
٣) الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، جـ٢، ص١٥٢.
٤) المازري: مصدر سابق، ص٢٨٥، الهادي روجي ادريس: المرجع السابق، جـ٢، ص٢٦٢، انظر صورة رقم (١٢ –ب) صورة توضح دينار من العصر المرابطى.
٥) عبد الله بن بلكين: مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص١٥٦، عبد الواحد المراكشى: وثائق المرابطين والموحدين، ص٢٢٦، حسين مؤنس: عالم الإسلام، ص٢٧٨، اميركو كاسترو: مرجع سابق، ص٥٧٤، عبد الهادى التازى: مرجع سابق، جـ٥، ص٨٣، حمدي عبد المنعم حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب، ص٣١٩ ، ٣٢٠، عبلة محمد سلطان لطيف: مرجع سابق، ص١٢٥.

obeikan.com

واحتراماً فى المشرق والمغرب وغدت دول العالم الاسلامي والنصراني تتنازع عليه، خاصه في حوض البحر المتوسط(١).

فقد كان التجار المغاربة الوافدون على الإسكندرية يحرصون على أن يتقاضوا أثمان سلعهم بالعملة المرابطية التى كانت بالتأكيد أكثر قيمة من غيرها من العملات المتداولة فى مصر آنذاك، بل أن سمعة العملة المرابطية إمتدت شرقاً إلى أبعد من مصر، فثمَّة وثيقة صينية مؤرخة فى عام٥٨٢هـ/١١٨٧م تقول: إن مولابتى (Mulaprit) وهى محرفة عن كلمة مرابط(٢). كما كانت بعض السفن تدفع ما عليها من عشور في ميناء عدن بالدنانير المرابطية(٣)، كما قيل أن الدينار المرابطي وصل الي القسطنطينية(٤)، كما ذكر ابن منقذ وجود الدنانير المغربية في بلاد الشام(٥). لذلك يمكن القول أن الدينار المرابطي كان هو العملة القوية التي تحكمت في أسواق العالم

١) عبد الواحد المراكشى: وثائق المرابطين والموحدين، ص٢٢٦، حسين مؤنس: عالم الإسلام، ص٢٧٨، عبد الهادى التازى: مرجع سابق، جـ٥، ص٨٣، رشيد بوريبة: مرجع سابق، ص١٤٥، احمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والاندلس ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية٢٠٠٥م، ص٢٩١، صالح يوسف بن قربه: انتشار المسكوكات المغربية وأثرها على تجارة الغرب المسيحي في القرون الوسطى، في (ندوة الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، الهلال العربية للطباعة والنشر، الرباط، الطبعة الأولى١٩٩٥م، ص١٧٥.

٢) A. Lawsuit of lawsuit of Ibn Sughmar vs. Joseph Lebdi in Session of the Rabbinical Court of Fustat, Fustat, November ١٢, ١٠٩٧,pp٢١٣ – ٢١٥ ، عبد الهادى التازى: مرجع سابق، جـ٥، ص٨٣، ٨٤، صالح بن يوسف بن قربة: انتشار المسكوكات المغربية، ص١٧٩

٣) ابن حوقل: مصدر سابق، ص٣٢.

٤) صالح بن يوسف بن قربة: المرجع السابق، ص١٧٩، حسن خضيري أحمد: مرجع سابق، ص١٣٩.

٥) الإعتبار: ص١٣.

obeikan.com

لفترة طويلة من الزمن، فكانت بمثابة "العملة الموحدة" في سائر الجهات المشهورة حينئذ(١).

كما دخل الدينار الموحدي في سياق التعامل التجاري في المغرب الأدني بعد سيطرة الموحدين عليه، وقد إمتاز معظم الدنانير الموحدية المضروبة لغرض التعامل التجاري بأنها ذات سمعه قوية، وانتشر التعامل بالدنانير الموحدية بين التجار الدوليين بسبب ما كانت تمتاز به من وزن مضاعف منذ عهد حاكمهم الثالث أبي يوسف يعقوب بن يوسف المنصور (٥٨٠–٥٩٠هـ/١١٨٤–١١٩٣م)(٢)، ولذلك عُرف الدينار الموحدى عند النصارى الإسبان(دوبلةDobla)(٣). وقد أشار إلى

---

١) A. Lawsuit of Ibn Sughmar vs. Joseph Lebdi in Session of the Rabbinical Court of Fustat, Fustat, November ١٢, ١٠٩٧,pp٢١٣ – ٢١٥ .

الهادي روجي إدريس: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٨٩-٢٩١، عبد الهادى التازى : مرجع سابق، جـ٥، ص٨٣.

٢) ابن عذارى: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١٨٢، ١٨٣، حسن خضيري احمد: مرجع سابق، ص١٤٠، رأفت محمد النبراوي: النقود الإسلامية (منذ القرن السادس وحتى نهاية القرن التاسع الهجري)، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، الطبعة الثانية ٢٠٠٣م، ص٢٧١، ٢٧٤، انظر منظر رقم (١٣ – ب) صورة توضح دينار موحدي، عصر المرتضى(٦٤٦-٦٦٥هـ/١٢٤٨-١٢٦٦م).

٣) عبد الواحد المراكشى: وثائق المرابطين والموحدين، ص٢٢٨، أحمد إسماعيل الجمال: مرجع سابق، ص١٣٦، ١٣٧، جمال أحمد طه: مرجع سابق، ص٢٣١، محمد الشريف: تدقيقات جديدة حول المسكوكات الموحدية، مجلة مواسم، طنجة– المغرب، العدد٥-٦، د.ت، ص٥٠ – ٥١.

Obeikan.com

الدنانير اليعقوبية ابن يوسف الحكيم، كما أشار إليها أيضاً ابن بعرة المصرى الكاملى، وإعتبرها من أجود العملات الأجنبية التي كانت ترد على دار الضرب المصرية[١].

غير أن الموحدين لم يلبثوا فى عهد أبى يوسف المنصور أيضاً، أن ضربوا نصف دينار موحدى يزن ديناراً عادياً عرف فى المصادر الإسبانية بإسم نصف دبله Media dobla، كذلك ضرب الموحدون ربع الدينار المعروف عند النصارى الأسبان بإسم ربع دبله Cuarta dobla [٢]، وبذلك سكت الدنانير المزدوجة وكذلك كسور الدنانير مما يزيد من سرعة التعامل بهذه العملات[٣].

ولا تختلف نقود الحفصيين عن نقود الموحدين عامة من حيث شكل العملة ومواصفاتها الفنية، وطبيعي أن يتكون نقد الحفصيين مثل نقد الموحدين على دنانير وضعفها وأجزائها مثل الثلث والربع[٤]، ويقال ان الدينار الذي ضربه حكام تونس في عصر الدولة الحفصية يزن اربعة وعشرين قيراطاً[٥].

---

١) ابن بعرة: كتاب كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية، تحقيق عبد الرحمن فهمى، القاهرة ١٩٥٤م، ص٤٣، ابن أبى زرع: مصدر سابق، ص٢٣٠، أحمد إسماعيل الجمال: المرجع السابق، ص١٣٦، ١٣٧.

٢) محمد أحمد أبو الفضل: الأندلس فى العصر الاسلامى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية١٩٩٦م، ص ٢٨٦، ٢٨٧.

٣) حسن على حسن: مرجع سابق، ص٢٢٩، جمال أحمد طه: المرجع السابق، ص٢٣١، ٢٣٤، محمد أحمد أبو الفضل: المرجع السابق، ص٢٨٨.

٤) روبار برنشفيك: مرجع سابق، جـ٢، ص٧٣، ٧٤، طاهر راغب: قراءة لعملات الحفصيين الأولى [ دراسة نمطية تاريخية لبيان تاريخ السك أو مكانه]، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد الثاني والعشرون، مدريد ١٩٨٣-١٩٨٤م، ص١١٨، رأفت محمد النبراوي: مرجع سابق، ص٢٨٩، ٢٩٠، انظر شكل رقم (١٤ – ب) صورة توضح دينار حفصي.

٥) الحسن الوزان: مصدر سابق، جـ٢، ص٨١.

obeikan.com

من جانب آخر كان نتيجة التبادل التجارى بين هذا المشرق الاسلامي وبين بلاد المغرب الإسلامى، لاسيما المغرب الأدنى ان عرف النشاط التجاري البحري للمغرب الادنى وجود عملات تلك البلاد كوسيلة للتعامل التجاري البحري، وما يدل على ذلك ذكر ابن بعرة المصرى الكاملى إلى الدنانير اليعقوبية المغربية، وإعتبارها من أجود العملات الأجنبية التى كانت ترد على دار الضرب المصرية، وبالطبع لم تكن هذه الدنانير اليعقوبية ترد إلى مصر، إلا فى المقابل قد وردت العملات الإسلامية خاصة المصرية منها، لاسيما الدنانير منها إلى بلاد المغرب أنذاك(١).

كما كانت الدنانير الفاطمية والتي ضُربت في المشرق هي الاخري وحدة قياس العملة وهي "جواز الشرق" حسب ما تشير اليه وثائق الجنيزة(٢). لذلك كان الدينار الفاطمي من أهم العملات التي استخدمت في مجال التعامل التجاري البحري بين مصر والمغرب عامة والمغرب الأدنى علي وجه الخصوص، لاسيما أن الدينار الفاطمي ظل محافظاً علي جودته، الأمر الذي أدي الي انتشاره في الأسواق الخارجية، وكان أهم ما يميز العملة الفاطمية العبارة التي تدل علي جودتها فكان يُنقش عليها عبارة (عال) أو (عال غاية)، وهذه العبارة تبين جودة العيار، وقد حافظ الدينار الفاطمي علي نقاوته طوال عهد الفاطميين. ويجب الاشارة الي أن الدينار الموحدي كان أقل من الدينار الفاطمي، ومن المرجح أن ذلك حدث قبل أن يضاعف الموحدون الدينار(٣)، وهذا ما يفسر لنا ذكر ابن جبير ان الدينار المصري في عصره

١) ابن بعرة: مصدر سابق، ص٤٣، أحمد اسماعيل الجمال: مرجع سابق، ص١٣٦، ١٣٧.

٢) جواتين: مرجع سابق، ص٢٤٢ – ٢٤٣، السيد محمد الملط: نقود العالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٣م، ص٥٧، انظر صورة رقم (١١ – ب) صورة توضح دينار فاطمي.

٣) المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ١، ص١١٦، حسن خضيري أحمد: مرجع سابق، ص١٤١، ١٤٣، ١٤٤.

obeikan.com

كان يساوي في القيمة التجارية ضعف قيمة الدينار المؤمني[١]. كما ظل الرباعي الفاطمي – أي ربع الدينار – متداولاً. وقد تبين أن العملة المعروفة عند النصاري باسمtari مشتقة من الكلمة العربية (طري)، بمعني حديث الضرب، وهي صفة استُعملت لنعت الرباعي في صقلية العربية، ومن صقلية انتقلت التسمية الي إيطاليا وفرنسا وإسبانيا ومالطة[٢]. كما عُرفت بلاد المغرب العملات الاندلسية في تعاملها مع التجار الاندلسيين، حيث لاحظ تاجر قيرواني أن "الدراهم الأندلسية كثيرة هنا" أي ببلاد المغرب الأدني[٣].

كما تدفقت العملات الأوربية إلى بلاد المغرب فى فترة الدراسة، فقد إكُتشفت عملات أجنبية ترجع إلى القرنين السادس والسابع الهجريين، لاسيما عملات المدن الإيطالية التى وصل تجارها إلى بلاد المغرب للتجارة، ومن هذه العملات عملات فلورانسا والبندقية وجنوة وبيزة[٤].

فقد عمدت جمهوريات إيطالية كفلورنسا منذ عام٦٤٩هـ/١٢٥٢م إلى ضرب نقود من الذهب الخالص بوزن ٣,٥ جرام عُرفت بالفيورينو Fiorino. وخلال الفترة الواقعة ما بين منتصف القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي وحتى نهاية القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي حظى النقد الذهبي الفلورنسي بمكانة مرموقة حتى أن المسؤولين عن دار الضرب في فلورنسا كانوا يدعون بكل اعتزاز أن نقودهم الذهبية هذه تقبل في أي مكان من العالم. كما طرحت البندقية الدوكاتوا الذهبي عام٦٨٢هـ/١٢٨٤م والذي جاء بنفس وزن وعيار الفيورينو، كما

---

١) ابن جبير: مصدر سابق، ص٢٤، ٣٠.

٢) أمين توفيق الطيبي: مرجع سابق، ص٣٢٨.

٣) أوليفيا ريمي كونستبل: مرجع سابق، ص٧٨.

٤) سحر السيد عبد العزيز سالم: مدينة الرباط فى التاريخ الاسلامى، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٩٦م، ص١٠٩، ١١٠، عبد الهادى التازى: مرجع سابق، جـ٦، ص٢٤٣.

obeikan.com

تذكر كتب التاريخ الأوربي أن الجنويين قد تعاملوا مع بلاد المغرب الادنى بالليرة (lire)، وقد لعبت هذه العملات الإيطالية آنذاك دوراً بارزاً في المبادلات التجارية الدولية خاصة مع بلاد البحر المتوسط لاسيما بلاد المغرب الأدنى[١].

ومن أسماء العملات الأوربية أيضاً التي عُرفت فى بلاد المغرب عملة ال (بيزنطى)(Besants)[٢]، كما تردد في وثائق الجنيزة ذكر ارباع الدنانير التابعة لصقلية أو التاريز، وفي عام٤٥٤هـ/ ١٠٦٣م كان الفلفل يُباع فقط في المهدية بعملات صقلية وبيزة[٣].

كما كان التجار المغاربة يدفعون ضريبة تجارتهم ببلاد الشام خاصة أثناء الحملات الصليبية بالدينار الصوري، وكان الدينار الصوري يساوي أربعة وعشرون قيراطاً[٤]. كذلك عرف تجار المغرب خاصة اليهود منهم والذين ذهبوا في رحلات بعيدة إلى الشرق الأقصى عملات ذهبية تعاملوا بها في تلك المناطق، ومنها المثقال الذهبي الذي ضرب في مدينة عدن[٥].

---

١) سمير علي الخادم: مرجع سابق، ص١٨٨، ١٩٢،

Hilmar C. Krueger ; Op,Cit , p ٣٨١ .

انظر: صورة رقم (١٥ – ب): عملات أوربية ترجع لفترة العصور الوسطي خاصة فترة البحث وما بعدها .

٢) Un Traité de paix et de commerce pour quarante ansentre Marin Morosini, doge de Venise, et Abou-Abd-Allah el-Mostancer-Billah, Roi de Tunis et de Tripoli, pp١٩٩ – ٢٠٢، عبد الواحد المراكشى: وثائق المرابطين والموحدين، ص٢٣١، عبد الهادى التازى: مرجع سابق، جـ٦، ص٢.

٣) جواتين: مرجع سابق، ص٢٤٢ – ٢٤٣، السيد محمد الملط: مرجع سابق، ص٥٧.

٤) ابن جبير: مصدر سابق، ص٢٧١.

٥) رسالة ثانية من التاجر المغربي اليهودي علان بن حسون في عدن إلي خاله عروس بن جوزيف الارجواني المهدوي في مصر، ص ٤٥٥، ٤٥٦.

كما كانت العملات الفضية لها مكانة قوية في معاملات التجارة البحرية – حسب وثائق الجنيزة – ولقد كانت قيمة العملات الفضية المُرسلة من تونس تتغير قيمتها وفقاً للضرب وحالة العملات الأخرى[١]، وقد ورد ذكر النقود الفضية أكثر من مره في رسائل التجار المغاربة مع نظرائهم الايطاليين في تلك الفترة[٢]. خصوصاً الدراهم الموحدية المربعة التي لعبت دوراً كعمله دولية في التجارة والمبادلات بين الغرب النصراني والمغرب الإسلامي حتى نهاية العهد المريني، كما تركت أثراً عميقاً في عملات أوربا الغربية ونالت إعجاب الأوربيين، فأقبلوا عليها اقبالاً شديداً، وقلدوها وضربوا نقوداً على شاكلتها عرفت باسم المليار(Milliars)، على الرغم من أن (Milliars) كان يشار إليه في المعاهدات الدولية خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، وهو لا يخرج عن كونه تقليداً موحديا محضاً. والمليار (Milliars) مربع الشكل، لكنه ذو قيمة منخفضة جداً عن الدرهم المربع الموحدي[٣] ، من جانب آخر عُرفت العملات النحاسية ففي جربة كانت تتم الصفقات بالنقد النحاسي[٤].

---

١) جواتين: مرجع سابق، ص٢٤٢ – ٢٤٣، السيد محمد الملط: مرجع سابق، ص٥٧.

٢) رسالة من التاجر المغربي هلال بن خليفة الجمونسي إلى التاجر البيزي الكبير باج، مؤرخة بعد عام ٥٩٧هـ، ص٥٠ – ٥٢.

٣ ) UnTraité de commerce , conclu dix ans, entre Abou-Abd-Allah Mohammed Monstancer-Billah, roi de Tunis, et la république de Génes , pp١١٨ – ١٢١, UnTraité de paix et de commerce pour quarante ansentre Marin Morosini, doge de Venise, et Abou-Abd-Allah el-Mostancer-Billah, Roi de Tunis et de Tripoli, pp١٩٩ – ٢٠٢، عبد الواحد المراكشى: وثائق المرابطين والموحدين، ص٢٣١، صالح بن يوسف بن قربة: انتشار المسكوكات المغربية، ص١٨٥، ١٨٦، رأفت محمد النبراوي: مرجع سابق، ص٢٨٣.

٤) ابن الشماع: مصدر سابق، ص٦٧، الزركشي: مصدر سابق، ص٣٨، الهادي روجي إدريس: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٥٦، ٢٥٧.

obeikan.com

كما أن التجارة البحرية في تلك الفترة وما بعدها عرفت عملات ورقية خاصة في الشرق الأقصى لاسيما في الصين، حيث أن التعامل هناك كان بقطع ورق الكاغد، كل قطعة منها في حجم كف اليد مطبوعة بطابع السلطان، وتسمى الخمس والعشرون قطعة منها بالشت، وهو ما يقابل الدينار في البلاد الاسلامية، وكانت تلك القطع اذا تمزقت في يد احد حملها لدار كدار سك العملات في البلاد الاسلامية ليستبدلها باخرى جديدة دون تحميله أي نفقات(١).

**ب – مقاييس المعاملات التجارية:**

يُعد نظام الموازيين والمكاييل عنصراً أساسياً من عناصر تبادل السلع ، وسنحاول هنا عرض ذلك النظام. وتجدر الإشارة إلى أن عملية " تحديد الأوزان والمكاييل والمقاييس، تظل من أصعب المهام المنوطة بالتاريخ الاقتصادي للمغرب الإسلامي. وذلك لأن أنظمة الكيل والوزن المستعملة كانت تختلف باختلاف الفترات الزمنية وباختلاف المناطق، بل وداخل المنطقة الواحدة(٢)، كما كانت تحدد في أغلب الأحيان بالاستناد إلى العرف . وإلى ذلك يشير ابن خلدون قائلاً: "صار أهل كل أفق يستخرجون الحقوق الشرعية من سكتهم ، بمعرفة النسبة التي بينها وبين مقاديرها الشرعية" (٣). ولم يكن الأمر مقتصراً علي بلاد المغرب في فوضي الموازيين تلك بل تعدتها الي بلاد أخري، مثل مصر التي عانت من فوضي المكاييل والموازيين من مدينة الي اخري ومن وقت لاخر(٤). وربما يرجع ذلك الى

---

١) ابن بطوطة: مصدر سابق، ص٦٢٩.

٤) المازري: مصدر سابق، ص٢٨٣، السقطى: مصدر سابق، ص١٦.

Li Guo : Arabic Documents from the Red Sea Port of Quseir in the Seventh/Thirteenth Century, Part٢: Shipping Notes and Account Records, Journal of Near Eastern Studies, Vol. ٦٠, No. ٢ ,Apr., ٢٠٠١, p٨٥.

٥) المقدمة: ص١٨٥.

٤) المازري : مصدر سابق، ص٢٨٣، حسن خضيري أحمد: مرجع سابق، ص١٤٧–١٤٩.

الإضطرابات والتغييرات السياسية الحادة خاصة عند الانتقال من سيطرة دولة على المنطقة لدولة آخري، فمثلاً تأثرت المكاييل والموازين بانفصال الدولة الزيرية عن دولة الفاطميين في مصر مثلما تاثرت العملات في المغرب الأدنى، فيذكر الزهري مثلاً أن المعز بن باديس: "بدد سككهم – اي الفاطميين– وغير مكاييلهم ونقض موازينهم"[١].

وحسب كتب الحسبة استغل بعض التجار فوضى المكاييل والموازيين فكانوا يغشون في مقاديرها[٢]، لذلك حرص التجار عند توثيق معاملاتهم في عقود او وثائق مختلفة ذكر نوع الكيل أو الوزن، بالإضافة لأسماء المتعاقدين والمبالغ المالية المدفوعة ونوع السلعة التي سوف تباع في وثائق البيع والشراء[٣]. وتشمل مقاييس المعاملات التجارية الأوزان والمكاييل والأطوال.

**١ – الموازين:**

يعد الدينار – المثقال – والدرهم أساس نظام الأوزان عامة، ونسبة وزن الدينار إلى الدرهم من الوجهة الشرعية هي كنسبة (٧/١٠)، بينما هي من الوجهة العملية(٢/٣). وعلى التحديد الوثيق لهاتين الوحدتين يتوقف تحديد جميع الأوزان الأخرى، وهذه العملية صعبة للغاية نتيجة اختلاف الدرهم والمثقال حسب

---

١) الجغرافية: ص١٠٩.

٢) السقطى: مصدر سابق، ص١٣– ١٩، ابن عبد الرءوف: رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في ادآب الحسبة والمحتسب، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٥٥م، ص٨٨، ١٠٦، ابن عبدون: مصدر سابق، ص٣٧– ٤٢، ٥٩، الونشريسى: مصدر سابق، جـ٦، ص٤٥، عز الدين عمر موسى: النشاط الإقتصادى، ص٢٩٧، ٢٩٨.

٣) المازري: مصدر سابق، ص٢٨١– ٢٨٣، عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص٢٨٣، ٢٩١، عز الدين عمر موسى: النشاط الاقتصادي، ص٢٩٧، ٢٩٨٤.

obeikan.com

المكان[١]؛ أما عن قيمة مثقال الوزن في عهد الموحدين والحفصيين فيُذكر ان وزنه كان ٤,٧٢ جرام، في وزن الذهب والمواد الثمينة [٢]، وقيمة درهم الوزن الشرعي من حب الشعير خمسونَ حبة وخُمسا حبة أو (٥٠,٤ حبة)، أو ما يساوى ستة دوانق[٣]، وقيمة درهم الوزن في عصر الموحدين والحفصيين مقابل درهم النقود المؤمني الموحدي، نجد أن درهم الوزن المتفق عليه يساوى درهماً واحداً وأربعة أخماس الدرهم من الدراهم المؤمنية[٤]، وجدير بالذكر أن على بن يوسف الحكيم قد ذكر أن العصر الموحدى عرف تواجد لدراهم وزن من العصر الأموي أيضاً، وكانت تساوى نفس وزن درهم الوزن الشرعي أي تساوى خمسينَ حبة وخُمسا حبة من حب الشعير المتوسط [٥].

ويتجزأ الدرهم الي "قيراطين" ويبلغ وزن القيراط ٠,٧٥ جرام[٦]، وهو يساوى ثلاث حبات من حب الشعير، كذلك وجد "الدانق" وهو وزن يساوى ثمان حبات

٤) مجهول: كتاب في الأوزان والمكاييل، مخطوطة بدير الاسكوريال، نشر موقع ziedan.com، ورقة ١، ٢، مجهول: تلخيص القول في الأكيال والأوزان والنصب الشرعية، وتبيين مقاديرها من أقوال العلماء المعتنين بتحقيق ذلك، تحقيق محمد الشريف، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، العدد١١صيف١٩٩٩م، ص٨، ابن رفعه: الإيضاح والتبيان في معرفه المكيال والميزان، مخطوط بدار الكتب المصرية، نشر موقع ziedan.com، ورقة٤، فالتر هنتس: المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان١٩٧٠م، ص٩، محمد ضياء الدين الريس: الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الخامسة ١٩٨٥م، ص٣٥١.

٥) روبار برنشفيك: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٦٠.

٦) مجهول: تلخيص القول، ص٨، ابن رفعه: مصدر سابق، ورقة٣.

١) مجهول: المصدر السابق، ص٩، ١٠.

٢) أبو الحسن بن يوسف الحكيم: مصدر سابق، ص١٤٤.

٣) روبار برنشفيك: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٦٠، ٢٦١.

obeikan.com

شعير وخُمسا الحبة[١]، وفي أسفل السلم يتم اللجوء لضبط الوزن بصورة مدققة الي "حبة" الشعير التي يبدو أنها كانت تساوي ٠,٠٥٩ جرام[٢].

أما باقي الأوزان فقد كان هناك أيضاً "النواة" وهى تساوى زنة خمسةَ دراهم وزن[٣]، كذلك عُرفت الأوقية في العصر الموحدى ايضاً[٤]، ويكون فيها من دراهم الكيل المؤمنية تسعة عشر درهماً وخمس درهم[٥].

كما كان الرطل أيضاً وحدة وزن شائعة خلال فترة البحث [٦]، ففي عصر المازري اعترفت إمرأة غاب عنها زوجها في صقلية منذ خمس سنوات ، بأنه ترك لها عدة أشياء من بيتها " رطلان بوزن صقلية من القطن المندوف " ويمكن أن نستخلص من ذلك أن الرطل المعمول به في إفريقية، وبلا شك في المهدية كان يختلف عن رطل صقلية [٧]. كما عرف الرطل الرومي في تلك الفترة وهو يساوي

٤) أبو العباس السبتى: مصدر سابق، ص١٣٩ .

٥) الآبي: مصدر سابق، جـ٣، ص١١٠ ، جـ٤، ص٢٧٤، روبار برنشفيك: المرجع السابق، جـ٢، ص٢٦٠، ٢٦١.

٦) مجهول: تلخيص القول، ص١٤، المراد بها وزن نواة الثمر من ذهب وعلى قدر هذه الأوقية اعتبر صدقات أزواج، انظر: نفس المصدر.

٤) ابن غالب الأندلسي: قطعة من كتاب فرحة الأنفس فى تاريخ الأندلس، تحقيق لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، المجلد الأول، الجزء الثاني، نوفمبر١٩٥٥م، ص٢٩٦، عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص ٢٩٤.

٨) مجهول: المصدر السابق، ص١٤، ابن رفعه: المصدر السابق، ورقة ٩.

٩) ابن غالب الأندلسي: مصدر سابق، ص ٢٩٦، عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص ٢٩٤، جمال طه: مرجع سابق، ص٢٣٤.

١٠) المازري: مصدر سابق، ص١٣٦، الهادي روجي ادريس: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٦٤، ٢٦٥.

Oberkan.com

تسع وقيات[١]، والراجح أن الرطل خلال القرنين٥،٦ هـ/١١،١٢م = ١٤٠ درهماً =٤٣٧,٥ جرام[٢].

كما عرف المغاربة في تلك الفترة "الربع" وهو مفرد جمعه أرباع، وكما ورد في الكتب التي تناولت الحديث عن الحسبة فهو يزن خمسةً وعشرينَ رطلاً، والرطل يساوى تقريباً ٥٠٤ جرام بالوزن الحالي، فالربع إذن يزن أثنى عشر كيلو وستمائة جرام[٣]. وقد ذكر لنا البكري ان زيت مدينة سفاقس كان يباع بالربع للتجار الاجانب الواصلين لصفاقس عن طريق البحر[٤].

وكانت وحدة الأوزان الكبيرة عندهم القنطار[٥]، والقنطار اسم لجملة من المال، ويقال أنه ألف ومائة أوقية، ورأى أخر يقول أنه سبعون ألف دينار، ويرى ثالث أنه يساوى مائة رطلاً[٦] من الأرطال التي تساوي ست عشرة أوقية، أي أن القنطار يساوي ٥٠,٤ كغ. ولكن بالنسبة الي بعض المواد مثل الفواكه الجافة أو الأقمشة، يقتضي العرف المعمول به في التجارة أن يُسلم البائع ١٠٢ أو ١٠٥ أو ١١٠ رطلاً إضافياً علي كل قنطار واحد، الأمر الذي يرفع وزن القنطار من ١ الي ٥ كج تقريباً. وفي بجاية التي كانت تستعمل نفس النظام الوزني المعمول به في تونس، كان قنطار الكتان يعدّ ١٥٠ رطلاً، أي أنه كان يبلغ ٧٥,٦ كج. وبالعكس من ذلك

---

١١) مجهول: كتاب في الأوزان والمكاييل، ورقة٦.

١٢) أبو الحسن بن يوسف الحكيم: مصدر سابق، ص١٤٣.

١) ابن صاحب الصلاة: مصدر سابق، ص٣٥٢، عز الدين عمر موسى: النشاط الاقتصادي، ص٢٩٧.

٤) المغرب: ص٢٠.

٣) ابن غالب الأندلسي: مصدر سابق، ص٢٩٨، ٢٩٩، جمال أحمد طه: مرجع سابق، ص٢٣٤.

٤) مجهول: تلخيص القول، ص١٦.

obeikan.com

ففي عنابة كان القنطار يزن٤ أرطال أقل من القنطار المعمول به في المدينتين المذكورتين، أي أن وزنه كان يبلغ ٤٨,٣ كج [١].

وقد اِستُخدم وحدة "القنطار" في الأعمال التجارية البحرية عند المغاربة خاصة في تعاملهم مع تجار المدن الايطالية[٢]، وتتضمن فتوي مطولة للمازري بعض الأوزان مثل القنطار الذي استُخدم في تقدير الكتان، ووحدة كبش القرنفل[٣]، كما استُخدمت ايضاً وحدة "البالة" أيضاً في تقدير الكتان والقطن وكانت بالة الكتان تزن سبعة قناطير، ويبدو أن هذا الوزن لم يكن موحداً من بالة إلي اخري[٤].

وتجدر الإشارة إلى أنه كان هناك وجود وحدة في الموازيين بين مصر من جهة وبلاد المغرب لاسيما المغرب الأدني من جهة أخري، خاصة في وحدات الرطل والأوقية والقنطار والبالة، إلا أن الموازيين المغربية كانت أثقل وزناً من نظيرتها المصرية مما ترتب عليه ضربها الي أجزاء معادلة عند التعامل بهذه الموازيين في كلا الإقليمين[٥].

---

٥) روبار برنشفيك: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٦١.

٢) رسالة من التاجر محرز القابسي الي التاجر الكبير باج البيزي، ص ٤٨، ٤٩، رسالة من التاجر المغربي هلال بن خليفة الجمونسي الي التاجر البيزي الكبير باج، ص٥٠ – ٥٢.

٣) المازري: فتاوي المازري، ص٢٨١ – ٢٨٣، الهادي روجي إدريس: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٨٧.

٤) أمين توفيق الطيبي: مرجع سابق، ص ٢٤٣.

٥) ابن رفعه: مصدر سابق، ورقه ٨، ٩، ايليا المطران: مقالة ايليا المطران في المكاييل والأوزان، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم٩٩ رياضيات /ورقة٥، حسن خضيري أحمد: مرجع سابق، ص١٤٧، ١٤٨.

obeikan.com

## ٢ – المكاييل:

كما تنوعت الموازين في تلك الفترة فقد تنوعت المكاييل أيضاً. وكانت المكاييل في التجارة تختلف وتتنوع تبعاً لطبيعة المواد المُكالة، فهي تختلف بين الجوامد والسوائل[١]. فقد عرف المغاربة "المد" في تعاملاتهم، وقد جعله البكري يزن ثمانين أوقية[٢]، بينما يذكر الإمام الشاطبى أن مقدار المد ملء اليدين المتوسطتين من غير قبضهما [٣]، ويذكر أبو الحسن أن المد رطل وثلث[٤]، وبذلك كان المد محل خلاف بين أصحاب الاختصاص في تقديره في تلك الفترة[٥].

أما "الصاع " الكامل فهناك اتفاق بين أصحاب الاختصاص أنه يساوى أربعة أمداد بمد النبي صلى الله عليه وسلم، والصاع يساوى نصف ويبة، والويبة ثلاث كيلات، وقد سمى الصاع في عصر الموحدين بـ"السطل "[٦].

---

١) مجهول: كتاب في الأوزان والمكاييل، ورقة ٣، ٤، روبار برنشفيك: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٦٢.

٢) المغرب: ص ١١٧. عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص٢٨٣.

٣) فتاوى الإمام الشاطبى: تحقيق محمد أبو الأجفان، نهج لواز، الوردية – تونس، الطبعة الثانية١٩٨٥م، ص١٣٣.

٤) أبو الحسن بن يوسف الحكيم: مصدر سابق، ص١٤٦، حسن على حسن: مرجع سابق، ص٢٣٠، عز الدين عمر موسى: النشاط الاقتصادي، ص٢٩٧.

٥) أبو العباس السبتى: إثبات ما ليس منه بُدّ لمن أراد الوقوف على حقيقة الدّينار والدّرْهَم والصاع والمُدّ، تحقيق محمد الشريف، المجمع الثقافى، أبو ظبى– الإمارات العربية المتحدة١٩٩٩م، ص٥٧.

٦) ابو العباس السبتي: مصدر سابق، ص٥٦، ٥٧، مجهول: تلخيص القول، ص١٥، القلقشندى: المصدر السابق، جـ١٥، ص٣٢٥، جـ٤، ص ٢١٦، ١١٨.

obeikan.com

كما عرف المغاربة "المكوك" وهو أثنا عشر مداً أي نصف "ويبة" وهو يساوى أيضاً صاعاً ونصف، أي أن "الويبة " تساوى أربعة وعشرين مداً [١]، وهناك من يرى أنها تساوى أثنين وعشرينَ مداً بمد النبي عليه الصلاة والسلام[٢].

كما عرفوا "الإردب" وهو يساوى ست ويبات، ويبدو أن الإردب عُرف عن أهل مصر في تلك الفترة [٣]، كذلك عرفوا "الكرّ" (بالضم) وهو ستون قفيزاً بالعراقي وأربعون إردباً بالمصري[٤]. وكان القفيز من المكاييل المعروفة أيضاً في العصر الموحدى والحفصي أيضاً[٥]، وكان يساوى ثمانية مكاكيك وجمعه أقفزة وقفزان[٦]، وكان القفيز من المكاييل التي تفاوت الناس في تقديرها؛ لاختلاف الاصطلاح فيها[٧]، وربما يرجع ذلك إلى وجود سدس القفيز وربعه ونصفه في عصر الموحدين[٨]. وبالنسبة الي الحبوب وجميع المواد الجافة كانت منطقة المغرب الادنى تستعمل القفيز الذي يساوي ١٨٧,٥٨ لتراً، ويتجزأ الي١٦ويبة تساوي كل واحد

٧) أبو العباس السبتى: المصدر السابق، ص١٢٨مجهول: تلخيص القول، ص١٦، ابن رفعه: مصدر سابق، ورقه ٨، ٩.

٨) أبو العباس السبتى: مصدر سابق، ص١٣٠.

٩) المصدر السابق: ص١٣٢.

١٠) مجهول: تلخيص القول، ص١٦.

١١) العمري: مصدر سابق، جـ٤، ص١٤٠، روبار برنشفيك: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٦٠، ٢٦١، عز الدين عمر موسى: النشاط الاقتصادى، ص٢٩٧، ٢٩٨، عبلة محمد سلطان لطيف: مرجع سابق، ص ١٢٦، ١٢٧.

١٢) أبو العباس السبتى: مصدر سابق، ص١٣١، مجهول: تلخيص القول، ص١٦، محمد ضياء الدين الريس: مرجع سابق، ص٣٠٨.

١٣)عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص٢٩٣، ٣٠٧.

١) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص ٣٠٨، ٣١٣.

obeikan.com

منها ١١,٧٢ لتراً، وتتجزأ بدورها الي١٢ "مداً" أو "صاعاً"، ويساوي الصاع حوالي٠,٩٨ لتراً، فالقفيز يتضمن حينئذ١٩٢ مداً[١].

وفي تونس خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي قام الحفصيون لاعتبارات دينية بتغيير القفيز الذي أصبح يساوي "الوسق الشرعي " أي ١٧٥,٩٢ لتراً، وصار يتضمن عشر "صفحات"[٢]. وأما مدينة طرابلس فلها "قفيز" أثقل من قفيز تونس، إذ ينبغي جمع ما بين ٦٩ و٧٩ قفيزاً للحصول علي ١٠٠ قفيز تونسي، أي أن قفيز طرابلس يساوي حوالي ٢٥٢ لتراً، ويتجزأ الي عشر "برشلة" تساوي أكثر بقليل من ١٢,٥ لتراً[٣]. وكان المكيال الأكثر استعمالاً بالنسبة الي الحبوب في مدن عنابة والقلّ وقسنطينة يُسمي "الثمنة" أي ثمن القفيز التي تساوي في المدينة الأولي ٢٣,١٣ لتراً وفي الثانية ٢٩،٦٩ لتراً[٤].

كما اسُتعمل الجريب وهو مكيال يساوى أربعة أقفزة[٥]، كذلك استعمل المغاربة "الوسق" وكان من المكاييل الأكثر استعمالاً في العصر الموحدى وسمي أيضاً بـ "الصفحة"، والوسق وسق جمل أي حمل جمل[٦]. ولا خلاف على تحديد الوسق، فالكل – أصحاب المعاجم والفقهاء – يذكر أن الوسق

٢) العمري: مصدر سابق، جـ٤، ص١٤٠، روبار برنشفيك: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٦٢.
٣) العمري: المصدر السابق، جـ٤، ص١٤٠، روبار برنشفيك: المرجع السابق، جـ٢، ص٢٦٢.
٤) البكري: مصدر سابق، ص٢٧، روبار برنشفيك: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٦٢.
٥) روبار برنشفيك: المرجع السابق، جـ٢، ص٢٦٢.
٦) أبو العباس السبتى: مصدر سابق، ص١٣٢.
٧) العمري: مصدر سابق، ص١٤٠، ١٩٣، حسن على حسن: مرجع سابق، ص٢٣٠، ٢٣١، جمال طه: مرجع سابق، ص٢٣٤.

Oberkan.com

ستون صاعاً، وأن الخمسة أوسق تساوى ثلاثمائة صاع[١]. ومن المكاييل أيضاً القفة[٢].

وأخيراً لا ينبغي أن نهمل ذكر المكاييل المتمثلة في الأيدي البشرية ، والمستعملة بكثرة بالرغم من قلة دقتها، وهي : القبضة والحفنة. ففي تونس كانت العادة الجاري بها العمل أخذ خمس حفنات (ملء اليدين) من كل كيس حبوب مستورد من الخارج، إلا أن الأمر في عهد بني خراسان اقتصر على أخذ أربع قبضات (ملء اليدين) من أعلى كل كيس قادم من بيزة نتيجة العلاقات الودية بين الجانبين[٣].

وبالنسبة الي السوائل والزيت علي وجه الخصوص كانت الوحدة العادية للكيل تتمثل في "المطر" أو "المطيرة" ويبدو أن "مطر" تونس وجربة كان يساوي ٢٠,٦٩ لتراً. وهو حسب ما دلنا عليه البكري كيل يسع خمسة أقفزة من الزيت وقفيز الزيت ثلاثة أرطال فلفلية، وعليه فإن المطر يساوي ١٥ رطلاً فلفلية[٤]. وعرف المغاربة أيضاً "القسط" ومعناه نصف صاع ويساوى رطلين وثلثين[٥]، ويُستعمل القسط في

٨) أبو العباس السبتى: مصدر سابق، ص٥٦، أبو الحسن بن يوسف الحكيم: مصدر سابق، ص١٤٦، ابن آدم القرشي: كتاب الخراج، تحقيق حسين مؤنس، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الاولى١٩٨٧م، ص١٥٧، محمد ضياء الدين الريس: مرجع سابق، ص٢٣٣، جمال أحمد طه: مرجع سابق، ص٢٣٤.

٩) السقطى: مصدر سابق، ص١٦، عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص٣٠٧، ٣١٠.

٣ ) رسالة من عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الحقّ بن أبي خرسان حاكم تونس إلى حكومة بيزة، ص١-٦، الهادي روجي ادريس: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٩٨، روبار برنشفيك: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٦٣.

١) البكري: مصدر سابق، ص٢٧، عبد المالك بكاي: مرجع سابق، ص٥٩، روبار برنشفيك: المرجع السابق، جـ٢، ص٢٦٢، ٢٦٣.

٢) أبو العباس السبتى: مصدر سابق، ص١٢٧.

obeikan.com

كيل الزيت والسوائل، وهو في العراق ستون قفيزاً وأربعون أردباً في مصر، ولا توجد لدينا معلومات حول قيمة هذا المكيال في المغرب الأدني[١].

كما أشارت بعض المصادر أيضاً بالنسبة الى العصر الاسلامي الحفصي ، إلى وحدة أخرى لكيل الزيت وهي "الجرة"[٢]، التي يبدو أنها كانت تساوي في تونس ثلاثة "أمطار" أو حوالي خمسين لتراً بدون أن تعلم هل أن تلك العلاقة بين المطر والجرة كانت مضبوطة بدقة أم لا. كما أن الوحدة المستعملة بالخصوص لكيل الخمر كانت تساوي هي أيضاً حوالي خمسين لتراً ، وهي "المزريولة " المتركبة من "قرنينين "، وبما أن المادة أوربية فإن المكيال المستعمل هو أوروبي أيضاً[٣]. كما اُستخدم كوزاً من الفخار لكيل المواد السائلة مثل الزيت إلا أننا نجهل مقدارهما [٤]. كما عُرفت " القلة " وهي الجرة الضخمة، وتقدر القلة بـ (٢٥٠) رطلاً عراقياً[٥]، وهي من مضاعفات المطر وهي ثلاثة أمطار أي ٣× ٥ = ١٥ قفيز زيت، و١٥ ×٣ =٤٥ رطلاً فلفلياً[٦]. ومن وحدات الكيل المشتركة التي كانت معروفة لدي المغاربة والمصريين في تعاملهم التجاري الصاع والمد والقسط والقفيز والمكوك والويبة والأردب[٧].

٣) عبد المالك بكاي: مرجع سابق، ص٥٩.

٤) مجهول: كتاب في الأوزان والمكاييل، ورقة٤.

٥) روبار برنشفيك: المرجع السابق، جـ٢، ص٢٦٢، ٢٦٣.

٦) مجهول: كتاب في الأوزان والمكاييل، ورقة٤، ٥، السقطى: مصدر سابق، ص١٦، عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص ٣١٠،٣٠٧.

٧) عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص٣٠٧، ٣١٠، عز الدين عمر موسى: النشاط الاقتصادي، ص٢٩٧، ٢٩٨.

٨) عبد المالك بكاي: مرجع سابق، ص٥٩.

٧) حسن خضيري احمد: مرجع سابق، ص١٤٩، ١٥٠ .

obeikan.com

### ٣- الأطوال:

كانت أعضاء الجسم البشري تُستخدم كأدوات لقياس الطول، وذلك حرصاً هذه المرة علي توخي الدقة واعتماداً علي بعض التقاليد العتيقة، وتتمثل وحدة القياس كما هو الشأن في بقية البلدان الإسلامية وغيرها من الأصقاع ذات الحضارات المختلفة في "الذراع". فكان ذراع اليد هو المقياس الشائع استخدامه في المغرب الإسلامي لاسيما في عصر الموحدين، وقد اختلف الذراع من سوق لأخر ومن شخص لأخر، خاصة في أسواق الأقمشة، ومنها الذراع الهاشمي والذراع العثماني، كذلك اِستُخدم الشبر وهو معيار يعادل المسافة بين أصابع اليد. كما يبدو أن الذراع الحفصي كان يتمثل في الذراع "العربي" البالغ طوله ٠,٤٨ متراً[١].

على أن الذراع قد احتفظ بأجزائه القديمة، ويتمثل أصغر جزء منه في "الإصبع"، حيث أن الذراع يساوي ٢٤ أصبع منه أي ٠,٠٢ متراً، وما بين الأثنين توجد "القبضة" التي يبلغ طولها ٠,٠٨ متراً وتساوي القبضة أربعة أصابع كما تساوي سدس الذراع ، ويبلغ طول "الشبر" ٠,٢٤ متراً، ويساوي ثلاث قبضات أو ١٢قدماً، أي نصف ذراع. كما تُستعمل "قامة" الإنسان، التي تعادل تقريباً المسافة الفاصلة بين طرفي اليدين الممدوتين وتساوي تقريباً ما بين ١,٦٥ و١,٧٠ متراً أي سبعة أشبار[٢].

ونلاحظ أيضاً ظهور مقياس إيطالي استمر استعماله بتونس في العصور الحديثة بالنسبة الي التجارة الخارجية، وهي "الكانة" (Canna) التي أشارت المراجع الي استعمالها منذ بداية القرن الرابع عشر لقياس الأقمشة المستوردة من إيطاليا مثل

---

١) ابن رفعه: مصدر سابق، ورقه ٩، ١٠، عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص ٢٩٦، ٣٠٣، روبار برنشفيك: مرجع سابق، جـ٢، ص ٢٦٣، حسن خضيري احمد: مرجع سابق، ص١٥٠، على محمد الصلابى: مرجع سابق، ص١٢٣.

٢) روبار برنشفيك:المرجع السابق، جـ٢، ص٢٦٣، عبد المالك بكاي: مرجع سابق، ص٦١.

obeikan.com

الشبكة أو الأقمشة الصوفية. وتشير المصادر إلي أن "كانة" تونس كانت أطول من "كانة" أنكونة، وأن "كانة" طرابلس أطول من "كانة" البندقية إذ يبلغ طولها ٢,٢٠ متراً[١].

كما كانت هناك أطوال مستعملة في الرحلة التجارية نفسها لتقدير المسافات المقطوعة بالسفينة التجارية وما تبقى من الرحلة، ومن تلك الأطوال المجار ومفردها مجري، ويساوي المجري عند العارفين بشؤون البحر في تلك الفترة مائة ميل[٢].

**جـ- أشكال المعاملات التجارية:**

كانت أشكال المعاملات التجارية البحرية لبلاد المغرب الأدنى، في فترة الدراسة تنحصر في محورين رئيسيين هما البيوع والشراكة، وكان كل محور من هذين المحورين يدخل تحته العديد من أشكال المعاملات التجارية، وسوف نعرض لهذه الأشكال فيما يلي:

**١ -البيوع:**

وهى التى يكون فيها المال مقصوداً من الجانبين حقيقة، مثل السلف والمقايضة والصرف...إلخ[٣] وقدعرف المغرب الأدنى فى فترة الدراسة جميع أنواع المعاملات

---

٣) روبار برنشفيك: المرجع السابق، جـ٢، ص ٢٦٣.

٤) ابن جبير: مصدر سابق، ص٨.

٣) الزركشى: المنثور فى القواعد، تحقيق تيسير فائق احمد محمود، وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية، الكويت، الطبعة الاولى١٩٨٢م، جـ٢، ص٤٠، ٤٠٣، سلطان بن إبراهيم بن سلطان الهاشمى: أحكام تصرفات الوكيل في عقود المعاوضات المالية، دار البحوث للدراسات الإسلامية واحياء التراث، دبي، الطبعة الأولى٢٠٠٢م، ص٧٣.

obeikan.com

التجارية التى تندرج تحت (البيوع)، سواء أكان التعامل بين تاجر وآخر أو تاجر ومستهلك أو بين الدولة والتجار[١].

كانت طريقة تبادل البضائع بغير الدفع وهو ما يُعرف بـ (المقايضة)[٢] أحد أشهر أنواع المعاملات التجارية المعروفة فى بلاد المغرب عامة والمغرب الادني خاصة لاسيما في تونس، خاصة وأن تبادل البضائع كان أحدي السمات الرئيسية لتجارة البحر المتوسط وليس الدفع نقداً[٣]. فقد كانت مقايضة أى شئ يخضع للبيع والشراء معروفة بين التجار المغاربة وغيرهم من التجار الاجانب، لاسيما النصاري فقد قايض تجار بيزة (البيشيون) نظرائهم المغاربة القمح بالصوف والجلود والشمع والزعفران[٤]. كما ورد في وثائق الجنيزة كثير من القوائم التي يُفهم منها أن التعامل كان يتم بالمقايضة عند إتمام الصفقات، مثل الكتان الذي يُرسل من مصر إلي تونس ، ويستورد مقابله النسيج التونسي[٥].

كما كان (البيع نقداً) في تلك الفترة من أنواع البيع الأساسية، حيث يكون الثمن دائما حاضراً فى وقت المبايعة ويكون من النقوددون غيرها من الوسائل، وقد عرف هذا النوع من البيع على مستوى التعامل بين المغاربة بعضهم وبعض، فى الأسواق

---

١) القرافي: كتاب الفروق" أنوار البروق فى أنواء الفروق"، تحقيق مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية، محمد سراج وآخرين، مطبعة دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى٢٠٠١م، جـ٤، ص١٦٣٧، عز الدين أحمد موسى: النشاط الإقتصادى، ص٢٩٥، ٢٩٦، جمال أحمد طه: مرجع سابق، ص٢٢٧.

٢) عبد المالك بكاي: مرجع سابق، ص٦٦.

٣) جواتين: مرجع سابق، ص٢٣٩.

٤) عبد الواحد المراكشى: وثائق المرابطين والموحدين، مصدر سابق، ص٢٣١.

٥) جواتين: مرجع سابق، ص٢٣٩، عبد المالك بكاي: مرجع سابق، ص٦٦، عبد الرحمن بشير: مرجع سابق، ص١٠٥.

obeikan.com

والمؤسسات المالية المغربية[١]. كما عُرف هذا النوع من البيع بين المغاربة وغيرهم من الشعوب الأخرى، حيث كان هناك بيع عمومى بطريقة مباشرة عن طريق النقد فى الديوان بين الأوربيين والمغاربة، وذلك بحضور المراقبين والموظفين الماليين من الأطراف المتبايعة، وكان المترجمون يلعبون دوراً رئيسياً فى تسهيل هذا النوع من البيع[٢]، كما اسُتعملت النقود التونسية الذهبية والفضية في الوفاء بأثمان الصفقات التجارية الواردة من مصر وسوريا والشرق[٣].

ومن أشكال البيوع أيضاً (الصيرفة) أو تغيير الأموال، فقد كان يتطلب اتمام عملية البيع والشراء في التجارة البحرية بالمغرب الأدني، أن يتم تغيير العملات فور وصول التجار الاجانب لموانئ المغرب الأدني أو العكس، وذلك بسبب تقلب قيمة العملات المضروبة وشهرتها من وقت لأخر في تلك الفترة، وتعد عملية تحويل الأموال من عملية لأخري هي المجال الاخر والهام الذي اضطلع به الصيارفة، وكانت هذه العملية تتصل بعمليتي وزن واختبارات العملات، فقد كانت العملات المحلية في ذلك الوقت تعتبر الوسيلة العادية في المعاملات التجارية[٤].

---

١) ابن صاحب الصلاة: مصدر سابق، ص٣٥٢، ٣٥٣، ٤٠٩، ٤١٩، ابن عذارى: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٨١، ٨٢، عبد الواحد المراكشى: المعجب، ص١٩٤، محمد المنونى: مرجع سابق، ص١٥، ١٦.

٢) عبد الهادى التازى: مرجع سابق، جـ٦، ص٢٥١.

٣) عبد الرحمن بشير: مرجع سابق، ص١٠٥.

٤) ابن بعرة: مصدر سابق، ص٥٨، ٥٩، ابن الحسن الحكيم: مصدر سابق، ص٤٩، ٥٦، ٥٧، حسين مؤنس: عالم الإسلام، مرجع سابق ، ص٢٨٠

Goitein.S.D : A Med, I , P .٢٣٤ .

opeikan.com

ورغم أن البعض يشكك أن عملية تحويل العملات المعدنية في بلاد المغرب الأدني لم تكن معروفة انذاك[١]. إلا أن بعض النصوص تذكر بوضوح لا يحتاج اللبس عملية تحويل عملات التجار النصاري في بلاد المغرب الأدنى فتذكر اتفاقية صلح بين الخليفة الحفصي ابي يحيي زكرياء (٧١١هـ-١٣١٢م/٧١٧هـ-١٣١٨م) وحكومة بيزة، أن ما يجلبه التجار البيزيين من الدنانير والدراهم من ضرب النصاري يُجرون فيه علي العوايد المتقدمة [٢].

وجاء في فتوي للمازري أن بعض التجار قد اشتركوا مع بعضهم للتحول إلي صقلية قصد شراء الحبوب، وحملوا معهم لهذا الغرض دنانير طرابلسية ومرابطية "من الذهب الجيد". فأمر صاحب السكّة في صقلية بسبك تلك النقود وأدمج فيها ربع وزنها من الفضة وحولها إلي دنانير رباعية ليس لها رواج إلا في صقلية، واحتفظ بوزن مجموع الفضة الممزوجة في شكل دنانير رباعية. وبموجب ذلك تقاضي الإفريقيون نفس الكمية من النقود الذهبية، مع انخفاض عيارها بنسبة ٢٥٪ [٣].

كما سُئل المازري عن جلود الذهب التي تعد وتغزل هل يجوز بيعها بذهب مسكوك نقداً أو يقبضه إلى أجل، وعن الدنانير الصفاقسيه المسمّاة بالربيعة، وفي إفريقية دنانير تسمى ثلثية ولواتية. هل يجوز بيعها بالمرابطية والطرابلسية متفاضلا نقدا لقلة ما فيها من الذهب، وكونه تبعا على مذهب ابن القاسم. في غير الحلي المذكور في كتاب الصرف، وهل يعتبر الأقلّ قيمة أو وزنا[٤].

---

١) عز الدين أحمد موسى: النشاط الإقتصادى، ص٣٠٢، ٣٠٣، عصمت عبد اللطيف دندش: مرجع سابق، ص٢١١، ٢١٢.

٢) اتفاقية صلح بين الخليفة الحفصي ابي يحيي زكرياء وحكومة بيزة في عام ٧١٣هـ، ص٨٦- ٩٧.

٣) المازري: مصدر سابق، ص ١٠٨، الهادي روجي إدريس: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٨٣،٢٨٢.

٤) المازري : المصدر السابق ، ص ٢٠٤.

كما كانت التجارة بين مصر والمغرب قائمة على العملة الذهبية، وعندما يدخل التجار المغاربة الى مصر كانوا يحملون العملة المغربية إلى دور الضإرب فيها ويسكونها ل،تعادل السكة المصري[١].

ورغم ما ثبت من عمليات تغيير العملات بين الأقطار المتعاملة مع بعضها البعض في نطاق التجارة البحرية، إلا أن هناك من يرى أن العملات المغربية خاصة المرابطية منها والموحدية، بما إمتازت به من نقاء المعدن وثبات العيار وجودة الصنعه وارتفاع الوزن كانت هي العملة الضابطه لباقي العملات الأخرى، فعلى أساسها كانت العملات الأخرى هي التي يعاد سكها لتتساوى مع قيمة هذه العملات المغربية وليس العكس[٢].

كما عرف عصر الموحدين شكل آخر من أشكال الأمانة أو الوديعة وهو أن يرسل رجل إلى رجل مال أو بضاعة، عن طريق رسول يحمل ذلك المال أو البضاعة على شكل أمانة أو وديعة يتحرر من مسئوليتها عندما يوصل تلك الوديعة إلى الرجل المرسلة إليه، ويحصل منه على ما يفيد أنه إستلمها[٣].

كما كان (السلف) أكثر أنواع البيوع إنتشاراً، وجرت العادة على توثيق بيع السلف، فإزدهرت صناعة التوثيق فى عصر الموحدين، وربما أخذ المسلف رهناً من المستلف[٤]. ومن الأنواع التي يمكن أن نجملها تحت السلف ما يسمى" الإعارة أو القروض"، والراجح أن ظاهرة الإعارة أو القروض كانت كثيرة فى هذا العصر، ولا يستبعد أن يكون الصرافون ممن يسلفون التجار، ومما يرجح القول بأن الصرافين

---

١) ابن بعرة: مصدر سابق، ص٥٨، ٥٩، ابن يوسف الحكيم: مصدر سابق، ص٤٩، ٥٦، ٥٧
Goitein.S.D : A Med , I , P .٢٣٤ .

٢) صالح بن يوسف بن قربة: انتشار المسكوكات المغربية، ص١٩٢.

٣)عبد الواحد المراكشى: وثائق المرابطين والموحدين، ص٦٠٩.

٤) المصدر السابق: ص٢٨٣، عز الدين أحمد موسى: النشاط الإقتصادى، ص٢٩٥، ٢٩٦.

obeikan.com

كانوا يقرضون التجار هو أن اليهود المغاربة كانوا أكثر الناس عملاً فى الذهب والفضة والصيرفة، وقد إشتهروا بإقراض المال للتجار . ويبدو أن الفائدة كانت كبيرة وقد بلغت فى حالة١٠٠٪ وفى أخرى٦٠٪. وهذا غير مستغرب لأن أجل القرض قد يكون طويلاً، وقد يبلغ أحد عشر عاماً أو خمسة عشر عاماً، كما أن الدفع قد يكون منجماً، وقد يكون الدفع فى بلد آخر(١). ورغم شهرة التجار اليهود في الاقراض إلا انه وبعد فحص سريع لوثائق الجنيزة يثبت أن إقراض المال لمصلحة لم يكن منبوذة دينيا فقط "إن المقترض هو عبد للمقرض" (أمثال ٢٢:٧)، ولكن أيضا من حيث انه ذات أهمية اقتصادية محدودة(٢).

ويبدو أن هذا النوع من أشكال التعامل كان منتشراً أيضاً على المستوي الرسمي بين المسئولين في المغرب الأدني وبين التجار الأجانب، وفي ذلك يظهر مثالين الأول يرويه ابن أبي دينار في عام ٥٣٦هـ/ ١١٤٠– ١١٤١م، ابتدأت الوحشة بين رُجار والحسن بسبب مال اقترضه الحسن من بعض وكلاء رُجار وماطله به. وسنري فيما بعد أن صقلية كانت لا تسلم قمحها إلا مقابل مبلغ معلوم من الذهب، ولذلك يرجح أنّ الأمر كان يتعلق بقرض نقدي لتمويل شراء القمح ، أكثر مما كان يتمثل في عملية بيع لأجل(٣). أما المثال الثاني فيذكره ابن الشماع عند حديثه عن الحملة الصليبية علي تونس في عهد الحفصيين، فيقول: أن ملك الصليبيين الفرنسيين ، أنه زعم أن حملته علي تونس كانت بسبب أن تجار من اتباعه ادعوا علي اللحياني بعد

---

١) عز الدين أحمد موسى: المرجع السابق، ص٢٨٠.

٢) مارك كوهين : بين الهلال والصليب– وضع اليهود في القرون الوسطى ، ترجمة اسلام ديه – معز خلفاوي، منشوات الجمل، بغداد الطبعة الاولى ٢٠٠٧م، ص٢٤٠، ٢٤١،

Goitein.S.D : Commercial and Family Partnerships, p٣١٧ .

٣)الهادي روجي ادريس: مرجع سابق، جا١، ص٤٠٧ – ٤٠٩.

نكبته أنهم أقرضوه ثلاثمائة دينار ذهباً لسبب ماً، وامتنع سلطان تونس من سداد القرض[١].

كما عُرفت القروض أو الإعارة على المستوى الدولى فى تعامل المغاربة مع غيرهم من الشعوب الأخرى؛ فقد كان تجار جنوة ومرسيليا يتبعون فى معاملاتهم مع المسلمين الأساليب نفسها التى كانت متبعة فى المعاملات التجارية فى بلاد الإفرنج، فكانوا يمارسون القروض العادية دون فائدة من الناحية النظرية، وكانوا يتقارضون مع المغاربة على أساس القرض المسمى بالبحرى، وفيه تحمل على رأس المال زيادات كبيرة لأن المستدين ينبغى أن يتحمل أخطار البحر[٢].

كذلك عرف المغاربة فى العصر الموحدى نوع أخر من بيع السلف سُمى " بيع الأجل"، وهو يقتضى بيع السلعة أولاً من الطرف الأول، وقبض الثمن لاحقاً فى وقت آخر من الطرف الثانى[٣]. ومن أمثلة البيع بالأجل ما أشارت له المراسلات بين أكثر من تاجر مغربي وتجار بيزيين اشهرهم التاجر باج، حيث أن هذا التاجر كان ضامناً للكثير من تجار بلاده عند نظرائهم من تجار المغرب الأدني في سلع تم بيعها أولا خاصة الجلود والصوف وتم سداد جزء صغير من ثمنها على أن يسدد الباقي من الثمن فيما بعد عن طريق الضامن[٤]. ومن أمثلة البيع بالأجل ايضاً ما أشارت إليه بعض فتاوي المازري، فقد اشتري الصباغون في تونس النيلة بأثمان مؤجلة

---

١) الأدلة البينة: ص٦٩،٧٠ .

٢) عبد الواحد المراكشى: وثائق المرابطين والموحدين، ص٢٣١.

٣) المصدر السابق: ص٢٣١، حسن على حسن: مرجع سابق، ص٢٧٥، جمال أحمد طه: مرجع سابق، ص٢٢٧.

٤) رسالة من التاجر محرز القابسي الي التاجر الكبير باج البيزي، ص ٤٨، ٤٩.

وسلّم العامل كمية من النيلة الي شقيق له كان قد سلّم إليه قبل سفره الي المشرق كمية من الحرير(١).

وقامت المعاملات الخارجية على الثقة المتبادلة بين التاجر الأجنبى وتاجر العدوتين، فلا نجد التاجر المسلم يتقيد بما يحتفظ به التاجر الأجنبى من أموال فى الديوان فيبيعه بالأجل، وقد يتبع التاجر المسلم الطريقة نفسها مع تاجر أجنبى حديث بضمانة تاجر قديم ، معروف وموثوق به، كما أن التاجر المسلم قد يشترى بضاعة فى بلد أجنبى، على أن يدفع قيمة البضاعة فى أى مرسى إسلامى ترسو فيه السفن، وفى حالة قيام الثقة أساساً للتعامل فى التجارة الخارجية، كثيراً ما تنعكس على العلاقات الشخصية من قيام صداقات وتبادل الهدايا بين التجار(٢).

**٢- الشركة التجارية:**

وهى التي يكون فيها المال مقصوداً من الجانبين حكماً، أو أن يقصد أحدهما المال والآخر المنفعة، لأن المنافع تنزل منزلة الأموال. وذلك مثل المضاربة والمساقاة والمزارعة...إلخ(٣). وكانت الشركة هي اهم اشكال المعاملات التجارية البحرية طوال فترة ازدهار العلاقات التجارية البحرية للمغرب الادني مع أكثر من بلد

---

١) الهادي روجي إدريس : مرجع سابق ، جـ٢ ، ص٢٧٧- ٢٨٠ .

٢) رسالة من التاجر محرز القابسي الي التاجر الكبير باج البيزي، ص٤٨، ٤٩، عبد الواحد المراكشى: وثائق المرابطين والموحدين، ص٢٣١، جمال احمد طه: مرجع سابق، ص ٢٣٩، عصمت عبد اللطيف دندش: مرجع سابق، ص٢١١، ٢١٢.

Goitein.S.D : jews and arabas, Pp.١١٨ ,١١٩ . stuidies in islmic history and instutions , brill , leiden , ١٩٦٨.p.٢٦٨ . amediterranean society, voll ll , London , ١٩٧١. P.١٦٦ .

٣) الزركشى: المنثور، جـ٢، ص٤٠٢، ابن تيمية: السياسة الشرعية فى إصلاح الراعي والرعية، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي فى دار الأفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الاولى١٩٨٣م، ص٢٦، سلطان بن إبراهيم بن سلطان الهاشمى: مرجع سابق، ص٧٣

Nelly Hanna : op,cit , p١٦٦ .

obeikan.com

وذلك طوال فترة الدراسة[١]. فقد دخل المغاربة فى شراكة مع بعضهم البعض[٢] أو مع تجار آخرين سواء من العالم الإسلامى أم تجار يهود أم أوربيين[٣].

وقد وُجدت أنواع عديدة من الشراكة الرسمية في عالم البحر المتوسط في العصر الوسيط ، ويعترف كثير من المؤرخين الغربيين أن الفروق ليست سهلة وواضحة بين كل نوع من أنواع الشراكة والنوع الثاني[٤]؛ ففي المحيط الإسلامي تستخدم غالباً التعابير"شراكة" أو "خلطة" لوصف شراكة بين شخصين يستثمران رأسماليهما، ويعملان بهدف أرباح اقتصادية. ومن ثم تقسم جميع الأرباح بين الشريكين وفقاً للاستثمار الفردي[٥].

---

١) البرزلي: مصدر سابق، جـ٣، ص١٥٦ – ١٥٨، عبد العزيز خلوق التمسماليي: التجارة البحرية في حوض البحر المتوسط من خلال نوازل أبي القاسم البرزلي، في ( ندوة الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، الهلال العربية للطباعة والنشر، الرباط، الطبعة الأولى١٩٩٥م، ص١٦٩ – ١٧١.

٢) المازري: فتاوي المازري، ص ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٨٦، عبد العزيز خلوق التمسماليي: المرجع السابق، ص١٦٩ – ١٧١.

٣) ولقد درس جواتياين طبيعة وحجم هذه المشاركات فى الفصل الثانى، القسم الثانى، من كتابه مجتمع البحر المتوسط Mediterranean society، بالإستعانة بستة وعشرين وثيقة. إثنتان وعشرون من هذه الوثائق كانت محفوظة فى جنيزة القاهرة، والأربعة الأخرى رجعت إليها فى إجابات دينية كُتبت بالعربية، ونُسبت إلى موسى بن ميمون (توفى١٢٠٤م) وإلى ابنه إبراهيم (ت ١٢٣٧م)، وتاريخ هذه الوثائق ينحصر ما بين سنوات ١٠١٦ و١٢٤٠م، انظر: جواتياين: مرجع سابق، ص١٧٩، ١٨٠.

٤) M. Postan: Credit in Medieval Trade , The Economic History Review, Vol. ١, No. ٢ (Jan., ١٩٢٨),pp٢٥٠ , ٢٥١ .

٥) أوليفيا ريمي كونستبل : مرجع سابق ، ص١٢٥ .

Goitein.S.D : Commercial and Family Partnerships, p٣١٧,٣١٨ .

obeikan.com

وكان (القراض) هو الشكل الأساسي والأهم في الشركات التجارية البحرية و"القراض" هي صيغة قديمة جداً استعملها الرسول صلي الله عليه وسلم، فهي تتمثل في تقديم مبلغ مالي من طرف صاحب رأس المال إلى شخص مكلّف باستثماره في التجارة، واقتسام الأرباح بين الطرفين حسب نسبة محددة من قبل(١). وقد تعددت الشروط والقواعد التي تضمنتها عقود المقارضة، والتي تضمن حقوق أطراف الشركة، وواجبات كل طرف منهم. ومن هذه الشروط والقواعد: الإتفاق على قدر ما يأخذه كل طرف من أطراف من الربح الناتج، كما لا يوجد ضمان على العامل فيما تلف من المال، إذا لم يضيع ولا غرر به. كما لا أجرة للعامل في حال عدم وجود ربح....إلخ(٢).

وكان القراض يتم التعامل به أيضاً علي المستوي المحلي بين المغاربة في تجارة المغرب الأدني البحرية ، وهناك أمثلة عديدة علي ذلك ، منها ما تم ذكره علي شكل فتاوي ونوازل، ففي العصر الزيري سئل المازري عمّن دفع له حليا وخاتم ذهب ودبلج فضة، يسافر بها لصقلية ويبيعها، ويشتري بثمنها طعاماً، ويأتي به فيبيعه بالمهدية، ويأخذ نصف الربح(٣)، وسئل أيضاً : عن تاجر دفع إلى بحري دنانير مرابطية قراضا يسافر بها إلى صقلية، ثم غاب ربّ المال مدّة فلما قدم من سفره سأل البحري عن الدنانير(٤)، وتتضمن فتوي مطولة للمازري نسخة محضر يتعلق بتقديم حساب مفصل ضبطه عامل في القراض بالعروض(٥)، كما جاء في فتوى اخرى

١) الهادي روجي إدريس: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٧٨.

٢)عبد الواحد المراكشى: وثائق المرابطين والموحدين، ص٦٠٣– ٦٠٧، اوليفيا ريمي كونستبل: مرجع سابق، ص١٢٥، ١٢٦.

٣) المازري: مصدر سابق، ص٢٨٣.

٤) المصدر السابق: ص ٢٨٥.

٥) المصدر السابق: ص ٢٨١ – ٢٨٣، الهادي روجي إدريس: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٧٧– ٢٨٠.

obeikan.com

للمازري أنّ رجلاً دفع لعامل قراضاً ليسافر به الي المشرق وكتب بينهما وثيقة بذلك[١]، ومن أمثلة القراض ايضا ذكرت لنا المصادر مثالين في افريقية يرجع تاريخهما – حسبما يبدو – إلي القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي. ويتعلق المثال الأول بشريك متضامن كان قد تسلم أموالاً من صفاقس وطرابلس، أما المثال الثاني فيتعلق بمسافر، تسلم مبلغ أربعين ديناراً لشراء بضاعة ونقلها من صفاقس الي تونس[٢].

كما عرف المغاربة القراض في تعاملهم مع التجار الأجانب أو بين التجار الأجانب أنفسهم الذين مارسوا التجارة البحرية مع المغرب الأدني، فقد أخذوه الإيطاليون عن المسلمين لاسيما المغاربة، وعُرف عندهم بـ (Commenda) أي الشركة البحرية، وكان عصب التجارة البحرية لديهم[٣] وعند اليهود يُسمي "عصق" isqaوبالبيزنطية chreokoinonia[٤].

وكانت الشركة البحرية (Commenda) تقوم بأن يقدم التاجر عمله وثلث رأس المال. ويقدم رب المال ثلثي حصة رأس المال، أما الأرباح فتكون مناصفة يتحصل صاحب رأس المال علي نصف الأرباح مقابل ما دفعه من ثلثي أصل رأس المال

---

١) المازري: المصدر السابق، ص ٢٨٦، الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، جـ٢، ص٢٧٧-٢٨٠.

٢) روبار برنشفيك: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٥٧، ٢٥٨.

٣) عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص ٦٠٠، جوزيف شاخت، كليفورد بوزورث: مرجع سابق، جـ١، ص٣٠٨، الهادي روجي إدريس: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٩٥، ٢٧٢.

Steven A. Epstein : Op,Cit, p٢٤٨ , ٢٥٥ . Goitein. S. D : COMMERCIAL AND FAMILY PARTNERSHIPS, p٣١٧,٣١٨ .

٨) اوليفيا ريمي كونستبل: مرجع سابق، ص١٢٥، ١٢٦،

Goitein.S.D : COMMERCIAL AND FAMILY PARTNERSHIPS, p٣١٧,٣١٨ .

obeikan.com

المُتاجر به، ويتحصل التاجر علي النصف الآخر من الارباح أي ربع مقابل عمله وربع مقابل رأسماله[١].

كما عرفت التجارة البحرية من الشركات ما يُسمي بـ (القرض البحري). ويتمثل القرض البحري في تسليم صاحب رأس المال الي تاجر مبلغ مالي أو في أغلب الأحيان بضائع، ويتحمل رب المال علي ٣/٤ الأرباح والتاجر علي الربع مقابل عمله، وفيه تحمل علي رأس المال زيادات كبيرة لأن المستدين ينبغي أن يتحمل أخطار البحر[٢].

أما النوع الثالث من الشركات فهي (الشركة التجارية Societas). فهي شركة توصية وكانت في أول الأمر تجمعاً تجارياً لمجموعة من الأفراد الذين ينتمون لعائلة واحدة، ولذا عُرف عند الأوربيين لاسيما الإيطالين باسم (Societas)، وفيها تُقسم الأرباح علي أساس رأس المال المدفوع والجهد المبذول لكل طرف منأطراف تلك الشركة. ويري بعض المؤرخين الغربيين أن شراكة (societas) واحدة من الطرق المعتمدة من قبل التجار في فترة الدراسة من أجل الالتفاف على حظر الفائدة [٣].

ومن ذكر النماذج الثلاثة السابقة يتضح أن القرض البحري كان هو الأقدم، فقد استخدم في التجارة الرومانية إلا أن استخدامه في فترة الدراسة كان محدوداً لسببين:

---

١) عبد الواحد المراكشى: وثائق المرابطين والموحدين، ص٦٠٠، جوزيف شاخت، كليفورد بوزورث: المرجع السابق ، جـ١، ص٣٠٨، الهادي روجي إدريس: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٩٥، ٢٧٢، مارك كوهين: بين الهلال والصليب، ص٢٣٠.

٢) عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين ، ص٢٣١، الهادي روجي إدريس: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٧، ٢٧٨، ٢٩٥.

٣) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق، ص٢٣١، الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، جـ٢، ص٢٧٢، ٢٧٨، ٢٩٥، أوليفيا ريمي كونستبل: مرجع سابق، ص١٢٧، ١٢٨،
M. Postan : Op,Cit,pp٢٥٠ , ٢٥١ . Steven A.Epstein ; Op,Cit , p٢٤٣ .

Open Kan.com

لاعتماده الكلي علي دفع الفوائد مقابل المال المقرض، وثانياً أن القرض يحتاج أن يكون معاداً مجرد الوصول بالسلامة للمركب أو الحمولة. وهذا الشرط الأخير– مع عدم الأمان للشحن البحري في العصر الوسيط، حيث كان البحر الابيض المتوسط منذ زمن طويلاً بحيرة رومانية – شجع الفوائد العالية النسبة، وخفض العائدات علي استثمار القرض البحري[١]. وقد أكد أحد المؤرخين أن عقد الشركة البحرية قد ظهر قبل مدة قليلة من ظهور عقد القرض البحري في المعاملات التجارية بين جنوة وتونس[٢].

ومع وجود تبدل ظاهر في السجل العدلي من تفضيل Societas، في وسط القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي إلى تفضيل Commenda في بداية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، فمن غير المؤكد إذا كانت هذه الصيغ متميزة بوضوح في عقول التجار الذين يجرون العقود[٣].

كما عُرف في المغرب الأدنى في القرن الخامس نوع من الشراكة النادرة لأنها كانت ممزوجة بطريقة أخري من طرق التعامل وهو الدين أو السلف والتي يمكن تسميتها بشراكة "التفليس"، حيث أن بعض التجار المغاربة الذين يرسلون بضاعتهم للبيع في موانئ أخري كصقلية يكونون مدينون بأموال لأشخاص أخرين، ولا يستطيعون رد هذا الدين، مما يدفعهم لإشراك هؤلاء المدينيين في رأس مال وأرباح تلك السلع المتاجر بها[٤].

---

٤) اوليفيا ريمي كونستبل: مرجع سابق، ص١٢٦، ١٢٧.

٢) عبد الواحد المراكشي: وثائق، ص٢٣١، الهادي روجي إدريس: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٩٥، ٢٧٢.

١) اوليفيا ريمي كونستبل: المرجع السابق، ص١٢٦، ١٢٧.

٤) ابن سهل: ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطرٍ من سير الحُكام، تحقيق يحيي مُراد، دار الحديث، القاهرة ٢٠٠٢م، ص٣٧٧.

obeikan.com

من خلال ما سبق يمكن القول ان معاملات النشاط التجاري البحري أعتمدت على وسيلتين أساسيتين للتعامل التجاري هما الوثائق الورقية والعملات معدنية، كما تعددت مقاييس معاملات النشاط التجاري البحري في تلك الفترة، حيث تعددت الموازين والمكاييل والمقاييس الطولية في المغرب كغيرها من بلدان العالم الإسلامي، واختلفت مقاديرها من منطقة لأخرى. كما تعددت أشكال المعاملات التجارية البحرية لبلاد المغرب الأدنى والتي يمكن تصنيفها في محورين رئيسيين هما البيوع والشراكة.

## ثانياً – سلع النشاط التجاري البحري:

كانت السلع والبضائع هي القوة الرئيسية الموجهة للنشاط التجاري البحري، خصوصاً أن الصادرات والواردات من تلك السلع كانت تمثل محاولة المجتمع المغربي سد حاجات المجتمع بتصدير الفائض عن حاجته واستيراد الناقص من متطلباته[١].

### أ – الصادرات:

صدر المغرب الأدنى العديد من السلع إلي باقي بلاد المغرب والدول الأوربية وبلاد مصر والشرق المسلم والشرق الأقصى، وفيما يلي عرض لتلك الصادرات .

فقد صدر المغرب الأدنى إلي المغرب الأوسط والأقصى المنسوجات القطنية والكتانية والصوفية الغالية الثمن والفستق القفصي وجلود الفنك والمرجان[٢]. وكانت صفاقس تصدر زيتها إلي كل بلاد المغرب[١].

---

١) انظر: خريطة رقم (٥ – أ ): حركة البضائع الرئيسية في التجارة البحرية ومصادر إنتاجها خلال فترة البحث.

٢) عز الدين موسي: النشاط الاقتصادي، ص٣٢٤، ٣٢٥.

obeikan.com

كما أمدت المغرب بلاد الأندلس بعدة أنواع من السلع الغذائية المختلفة، حيث كانت تنقلها المراكب الأندلسية من مراس بلاد المغرب المنتشرة علي طول الساحل الإفريقي. وكانت أهم هذه السلع السلع الغذائية خاصة القمح حيث كانت السفن تنقله إلي الأندلس من ميناء وهران وطبرق، أما التمر والجوز واللوز والفستق فقد صدرت منه المغرب إلي بلاد الأندلس الكثير حيث كان يأتيها من قفصة، أما الزيت فكان يرد إلي الأندلس من صفاقس[٢]، ومن السلع الغذائية التي كانت تصدر من المغرب الأدنى إلى الأندلس التين والزعفران[٣].

كذلك صدرت بلاد المغرب إلى الأندلس المنسوجات الصوفية، وكان التجار الأندلسيون يستوردون الصوف من بونة[٤] ، وكتب تاجر يهودي في تونس إلي شريكه في مصر في عام٤١٠هـ/١٠٢٠م ليقول له إنه أرسل " المنسوجات إلي الأندلس من بضاعة الأمانات ( التي جاءت من مصر)"[٥]، أما الأغنام والماشية فكان المغرب الأدنى يصدر الكثير منها إلي بلاد الأندلس[٦] .

كما استوردت الأندلس من بلاد المغرب الأدنى الرخام الوردي والأخضر، حيث كان يرد من صفاقس وتونس قرطاجنة . كما كان يُعاد تصدير اللؤلؤ المصري

---

١) ابن خلدون: العبر، جـ٦، ص٢١٠، ٢١١، الهادي روجي إدريس: مرجع سابق، جـ٢، ص٦٠، ٦١، أرشيبالد.ر. لويس: مرجع سابق، ص٢٣١، جورج مارسيه: مرجع سابق، ص٢٥٠، ٢٥١.

٢) ابن حوقل: مصدر سابق، ص٧٦، ٧٣، ٧٩، البكري: مصدر سابق، ص٢٠، ٤٧، سامية مصطفي مسعد: مرجع سابق، ص١٧٢، ١٧٣.

٣) نريمان عبد الكريم أحمد: مرجع سابق، ص٢١٩، ٢٢٠.

٤) ابن حوقل: المصدر السابق، ص٧٧، الهادي روجي إدريس: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٩٣-٢٩٥، سامية مصطفي مسعد: مرجع سابق، ص١٧٣.

٥) أوليفيا ريمي كونستبل: مرجع سابق، ص٢٤٤، ٢٤٥.

٦) ابن حوقل: مصدر سابق، ص٦٩، ٧٠، سامية مصطفي مسعد: مرجع سابق، ص١٧٣.

obeikan.com

عبر التجار بالمغرب الأدنى إلي الأندلس، كما أن بلاد المغرب الأدنى صدرت مادة الزرنيخ إلي باقي بلاد المغرب الأخرى وبلاد الأندلس أيضاً ، كذلك أحجار الطواحين كانت تصدر الى بلاد المغرب والاندلس خاصة المستخرج من جبال مجانة(١).

من جانب أخر فقد صدرت بلاد المغرب الأدنى إلى أوربا الحبوب بمقادير وافرة. كما كانت صفاقس تصدر زيتها لصقلية وأوربا ، وكانت صقلية تستورد زيت الزيتون من جزيرة جربة لاستعماله في حفظ أسماك التونة التي كانت تُصاد قرب سواحل صقلية، كما كانت جزيرة كريت (إقريطش) تستورد من بلاد المغرب الأدنى الزيتون والزيت، حيث لم تكن تنتج تلك المنتجات محلياً. كما كانت التمور تصدر من تونس وطرابلس إلي مختلف الأقطار الأوربية، وتصل حتي كريت والبلقان(٢).

وخلال فترة الدراسة لم تتوقف بلاد المغرب الأدنى عن تزويد أوروبا بالأصواف والجلود أي منتجات تربية الماشية التي ساعد على تطويرها نمو حياة الترحال، فقد كانت الأصواف والجزات الخام أو المغسولة تصدر من بجاية وتونس وجربة وطرابلس الي مرسيليا وجنوة وبيزة والبندقية ولمبارده وفرنسا، وكانت جلود البقر والغنم والمعز، تنتقل بصورة محسوسة من نفس المصدر إلي نفس المقصد. على أن الجمهوريات الايطالية لم تكن تحتفظ بمجموع الجلود المستوردة لتلبية حاجاتها

---

١) الزُهري: مصدر سابق، ص١٠٨، القزويني: مصدر سابق، ص٢٦٠، المقري: نفح الطيب، جـ٢، ص٦٧، أوليفيا ريمي كونستبل: مرجع سابق، ص٢٥٢، سامية مصطفي مسعد: مرجع سابق، ص١٧٣.

٢) الزهري: المصدر السابق، ص١٣١، أمين توفيق الطيبي: مرجع سابق، ص٢٤٧، ٢٤٨، ٢٣٥، روبار برنشفيك: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٧٢– ٢٧٤، جوزيف شاخت، كليفورد بوزورث: مرجع سابق، جـ١، ص١١١، زاهر رياض: مرجع سابق، ص١٥٧،=
=Armand O. Citarella ; Patterns in Medieval Trade: The Commerce of Amalfi Before the Crusades , The Journal of Economic History, Vol. ٢٨, No. ٤ (Dec., ١٩٦٨), p ٥٣٣.

الخاصة، بل كانت تقوم بإعادة توزيع قسم كبير منها، إذ كانت جلود تونس وبجاية تصل حتي الي فلندريا[١]. وأشار المازري في احدي فتاواه إلي تصدير السماق الي صقلية، وهي مادة كانت مستعملة في فترة الدراسة في الدباغة والصباغة[٢].

وقد كانت المعادن من بين السلع المستوردة بكثرة من قبل جنوة وبيزة من تجارتها مع الساحل المغربي، خاصة معدن الذهب المستورد من السودان الغربي ومعدن النحاس، كما كانا يستوردان كميات كبيرة من الشب لاستعماله في الدباغة والصباغة[٣].

كما كان وفود تجار الإفرنج يشترون أشياء كثيرة أهمها الشمع وسن الفيل وريش النعام والقطن والزعفران والأبنوس والفرش وهي البسط والسجاجيد والندبيات أو الزرابي وأنواع معينة من الأقمشة والأواني الفخارية المطلية بالميناء ذات البريق المعدني، ولم تكن كل البضائع من صنع إفريقية، بل الكثير منها كان يرد إليها من بلاد المشرق حتي إيران[٤]. أما بخصوص تجارة العبيد السود التي بدأت في بلاد

١) رسالة من التاجر محرز القابسي الي التاجر الكبير باج البيزي، ص ٤٨، ٤٩، رسالة من التاجر المغربي هلال بن خليفة الجمونسي الي التاجر البيزي الكبير باج، ص٥٠– ٥٢، رسالة من التاجر إبراهيم بن خليفة الجلاد بتونس إلي التاجران البيزيان باج وفرسطان، ص٥٧، ٥٨، هشام أبو رميله: مرجع سابق، ص٣٩٩، أمين توفيق الطيبي: مرجع سابق، ص١٣٨، ١٣٩.

٢) فتاوي المازري: المعيار، جـ٨، ص١١٤، ١١٥.

٣) رسالة من عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الحقّ بن ابي خرسان الي حكومة بيزه، ص١ – ٦، رسالة من التاجر إبراهيم بن خليفة الجلاد بتونس إلي التاجران البيزيان باج وفرسطان، ص٥٧، ٥٨، عبد الهادي التازي: مرجع سابق، جـ٦، ص٢٢٢، أمين توفيق الطيبي: مرجع سابق، ص١٣٨، ١٣٩، ٢٣٥.

٤) عبد الواحد المراكشي: وثائق، ص٢٢٩، هشام أبو رميله: مرجع سابق، ص٣٩٩.

obeikan.com

السودان، فالراجح أن بلاد المغرب الأدنى كانت منفذاً رئيسياً لتلك التجارة مع بلاد النصارى والبلاد الشرقية للبحر المتوسط[١].

أما صادرات المغرب الأدنى إلى مصر– ومنها يحمل بعضها إلى باقي بلاد المشرق – فقد استمر تدفق الزيت المغربي إلي مصر خلال قرون عديدة خاصة من مدينة صفاقس. كما كان يرد إلى مصر من بلاد المغرب الأدنى العسل والشمع والتمور خاصة من واحة أوجلة واللوز من تونس والفستق من قفصة، كما استوردت مصر من بلاد المغرب الأدنى الحبوب خاصة القمح والشعير، وربما كان ذلك يحدث في أوقات القحط عندما يكون النيل منخفضاً، وتشح المحاصيل. ومن خلال ميناء قصر طلميثة صدر المغرب الأدنى الكثير من السلع على رأسها العسل والسمن . ولا يفوتنا أن نذكر أن الأسماك كانت ترد إلى مصر من بلاد المغرب بكميات كبيرة ، وكان السمك أكثر ما يصاد في المغرب في السواحل عند تونس وبنزرت وبونه[٢].

وعلي الرغم من تقدم صناعة المنسوجات في مصر، إلا أن الأقمشة السوسية كانت من بين الواردات المصرية ، وكان عليها طلب كبير، وأصبح لها سوق في القاهرة عُرف بسوق السوسيات، أما الحرير فيمثل بكل أنواعه أهمية بارزة في السلع

---

١) روبار برنشفيك: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٧٤–٢٧٦.

٢) رسالة من سليمان بن إبراهيم الرُّقي إلى أبي الفرح نسيم الرُّقي، ص٢٤٠، ٢٤١، البكري : مصدر سابق، ص٢٠،٦، ٤٧، الادريسي: مصدر سابق، جـ١، ص٣١٠، ٣١١، ٣١٥، ٣١٦، ابن خلدون: العبر، جـ٦، ص٢١٠، ٢١١، أمين توفيق الطيبي: مرجع سابق، ص١٤٣، ١٤٤، حسن خضيري أحمد: المرجع السابق، ص١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، جورج مارسيه: مرجع سابق، ص٢١٠، ٢٥٠، ٢٥١، حامد عمار: مرجع سابق، ص ٦٨.

obeikan.com

المجلوبة من المغرب وانفردت قابس بإنتاجه، ويبدو أنه كان يدخل في تجارة الحرير حرير الأندلس، الذي كان يعاد تصديره إلي مصر من موانئ المغرب(١).

كما كان يرد من قفصة إلي مصر نوع خاص من النسيج يسمي الكساء الطراقي، وهو أساس قطع الصوف الكبيرة التي تنسج الآن في هذه المنطقة، كذلك الجوخ التي اشتهرت به صفاقس. كما اشتملت واردات مصر من بلاد المغرب القماش الأشقر والفوط غير المقصرة والفوط الحمراء وجباب الخز، ولا شك أن تلك الأنواع من الأقمشة مصدرها المهدية أو سوسة . ويدخل السجاد في مجال التجارة، وخاصة النوع الذي عرف باسم (القيلة) أو العرش، وهو يتكون من قطعتين من لون أخضر واشتهرت بانتاجه قابس. كما كان يرد إلي مصر من بلاد المغرب القنب والقطن، الذي يُحمل إلي تونس من القيروان ثم يصدر إلي مصر(٢).

وكانت أنواع الجلود المختلفة خاصة جلود الكتب وأغلفتها تُجلب إلي مصر جاهزة، وذكر عنها في وثائق الجنيزة أنها كانت مربعة، كما ورد في رسالة من منتصف القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي إلي إرسال تسعة جلود حمراء وستة جلود سوداء وخمسة جلود بيضاء، فقد كانت تونس مركزاً هاماً لصناعة الجلود، وتصدير المنتجات الجلدية، فكان يُجلب منها الأحذية الجلدية الفاخرة، وأغلفة

---

١) رسالة من إسحاق النيسابوري بالإسكندرية إلي أبي العلاء صاعد يوسف الدمشقي بالفسطاط، ترجمة أمين توفيق الطيبي في كتاب دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، جـ٢، ص١٥١، ١٥٢، نشر Goitiein.S.D : Letters of Medieval Jewish Traders , Princeton University , Press١٩٧٣. Pp ٢٤٥ , ٢٤٦ . الهادي روجي إدريس: مرجع سابق، جـ٢ ، ص٢٨٥- ٢٨٨، حسن خضيري أحمد: مرجع سابق، ص١٠٦.

٢) الادريسي: مصدر سابق، جـ١، ص٣١٠، ٣١١، البكري: مصدر سابق، ص٤٧، رسالة من سليمان بن إبراهيم الرُّقي إلى أبي الفرح نسيم الرُّقي، ص١٤٧- ١٤٩، شوقي عبد القوى عثمان حبيب: التجارة بين مصر وأفريقيا، ص٥١، حسن خضيري أحمد : المرجع السابق، ص١٠٧، ١٠٨.

الكتب إلي الإسكندرية؛ كما أن طائر الكيكل أو الخواص والذي كان يعيش في مدينة بونة كان مصدراً لنوع من الجلود النادر المُستخدم في صناعة الثياب بمصر لليونته وجماله[١].

كما كان تجار المغرب الأدنى يبيعون في الإسكندرية كميات من المرجان، سواء المرجان المنظوم في عقود وغير المنظوم، وكان يرد إلي مصر من مرسي الخرز. وتشير إحدى وثائق الجنيزة التي تعود لأوائل القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي من تاجر بالإسكندرية إلي صديق له بالفسطاط، نقتبس منها بعض الفقرات: "إلى الآن لم يصل شيئ من المرجان لا من بلاد الروم ، ولا من المغرب"[٢]. وشاهد الرحالة ناصر خسرو الذي زار مصر عام ٤٣٧هـ/١٠٤٥م في أسواق الفسطاط قطعاً من البلور الواردة من بلاد المغرب[٣]، كما كان الكحل المغربي يرد إلي مصر ويستخدم في الزينة، كما كان يُصدر من خلال ميناء قصر طلميثة القطران، كذلك احجار الطواحين كانت تصدر الى مصر وبلاد الحجاز بالاضافة لبلاد الشام خاصة المستخرج من جبال مجانة[٤].

---

١) مجهول: الاستبصار، ص١٢٧، أمين توفيق الطيبي: مرجع سابق، ص١٤٣، ١٤٤، حسن خضيري أحمد: مرجع سابق، ص١٠٩، ١١٠، السيد عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب، ص٦٢.

٢) رسالة من إسحاق النيسابوري بالإسكندرية إلي أبي العلاء صاعد يوسف الدمشقي بالفسطاط، ص١٥١، ١٥٢، أمين توفيق الطيبي: مرجع سابق، ص١٤٣ ، ١٤٤، حسن خضيري أحمد: مرجع سابق، ص١٠٩، ١١٠.

٣) سفرنامة: ص١١٨، الهادي روجي إدريس: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٨٥ – ٢٨٨.

٤)الادريسي: مصدر سابق، جـ١، ص٣١٠، ٣١١، ٣١٥، ٣١٦، القزويني: مصدر سابق، ص٢٦٠، أمين توفيق الطيبي: مرجع سابق، ص١٤٣، ١٤٤، حسن خضيري أحمد: مرجع سابق، ص١٠٩، ١١٠.

obeikan.com

ويمثل الذهب أهم سلعة في واردات مصر من بلاد المغرب، وليس من المبالغة في شيئ إذا ذهبنا إلى أن الازدهار الاقتصادي الذي عرفته مصر أثناء الحكم الفاطمي هو ازدهار وثيق الارتباط بذهب بلاد المغرب الذي ظل طيلة تبعية المغرب لمصر سيلاً دافقاً للبلاد المصرية، كما تدفقت العملات الذهبية والفضية وخاصة من تونس ثمناً للبضائع الواردة من بلاد المشرق، هذا فضلاً عن كميات الفضة التي وردت إلي مصر في عام ٣٩١هـ/١٠٠١م[١].

وكان من بين هذه الواردات التحف الفنية والأواني الخزفية، وتوجد ربعة صغيرة في متحف مدريد تحمل كتابة مرصعة بالعاج، تفيد أنها صُنعت في صبرة (المنصورية )، وأنها صُنعت برسم الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، يفيدنا وجود هذه التحفة الفريدة أن مثلها قد كان يُصنع في القيروان بالعشرات، وأن البعض منه قد نقل إلي مصر مع بعض التجار[٢] ، وكانت المصنوعات الدقيقة أهم ما يشحن به المغاربة سفنهم إلي مصر[٣].

وإذا انتقلنا إلى بلاد المشرق الأدنى والأقصى، نجد أن أنواع السلع التي صدرتها بلاد المغرب الأدنى إلى مصر سابقة الذكر قد عرفت طريقها إلى تلك الجهات بواسطة التجار اليهود الذين كانوا حلقة الوصل بين بلاد المغرب وأوربا من جهة وبين بلاد الشرق الأقصى من جهة أخرى، وذلك عن طريق مصر نقطة التقاء التجارتين. وأهم تلك السلع المغربية التي يُحتمل أنها عرفت طريقها للشرق الأقصى المعادن خاصة الذهب والفضة وكذلك الزيوت خاصة زيت الزيتون وكذلك

---

١) المقريزي: اتعاظ الحنفا، جا، ص١٠٠، ٢٥٢، حسن خضيري أحمد: المرجع السابق، ص١١١، ١١٢.

٢) حسن خضيري أحمد: المرجع السابق: ص١١٣.

٣) حامد عمار: علاقات مصر بالدول الإفريقية، ص ٦٨.

المنسوجات والجلود[١]. بالإضافة إلى المرجان لاسيما مرجان مدينة طبرقه الذي اعتبر من أنفس مرجان في العالم ، لذلك كان يصدر بكثرة إلي الهند والصين[٢].

**ب – الواردات:**

كانت بلاد المغرب الأدنى تستورد من بلاد المغرب الأوسط والأقصى السكر، وفي العصر الموحدي أصبح المغرب الأدنى يستورد من الأوسط والأقصى القمح خاصة من وهران وجزائر بني مزغنة وتنس، كما كان المغرب الأدنى يستورد من مدينة (تدلس) بالمغرب الأوسط الغنم والبقر، كما كانت مدن المغرب الأدنى تستورد من مدينة (مرسى الدجاج) بالمغرب الأوسط أيضا الفواكة خاصة التين، كما يرجح أن تكون تلك المدينة صدرت لبلاد المغرب الأدنى القمح واللحوم ، كما استوردت مدن المغرب الأدنى من مدينة (جزائر بني مزغناي) العسل والسمن[٣].

أما المعادن وأشباهها فكان المغرب الأدنى يستورد من المغربين الأوسط والأقصى الذهب والنيلة والشب والنحاس، كما صدرت بلاد المغرب الأوسط لمدن المغرب الأدنى خشب غابات جبال الرحمن وناحية بونة، كما كانت بلاد المغرب

---

١) السيد عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب، ص٦٢، جواتين: مرجع سابق، ص٢٤٠، ٢٤١، ٢٦٦، الهادي روجي إدريس: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٨٨.

٢) مجهول: الاستبصار، ص١٢٧، الحميري: مصدر سابق، ص٣٨٦، أوليفيا ريمي كونستبل: مرجع سابق، ص٣٨٦، ٣٨٧،

A. Lawsuit of lawsuit of Ibn Sughmar vs. Joseph Lebdi in Session of the Rabbinical Court of Fustat, Fustat, November ١٢, ١٠٩٧,pp٢١٣ – ٢١٥ .

٣) الإدريسي: مصدر سابق، جـ١، ص٢٥٢، ٢٥٨، ٢٥٩، الزُهري: مصدر سابق، ص١١٧، ١١٨، عز الدين موسي: النشاط الاقتصادي، ص٣٢٤، ٣٢٥.

openkan.com

الأدنى تستورد من تلمسان أنواع من الصوف والأنسجة الأخرى، التي تُستخدم في صناعة السروج ، كما كانت بلاد المغرب الأقصى مصدر للعبيد والخدم(١).

أما عن نوعية السلع التي ترد من الأندلس إلي المغرب الادنى فقد حظيت بلاد المغرب بنصيب كبير منها ومن اهم الفواكه المصدر إلي بلاد المغرب التين والعنب والزيتون، وكانت هذه الفاكهة تباع في اسواق المغرب؛ وكانت مالقة من أهم المدن الأندلسية انتاجاً لأنواع كثيرة من الفاكهة منها التين الذي عرف بالتين المالقي. فقد أمتاز هذا النوع من الفاكهة الأندلسية بحلاوة الطعم والبقاء مدة طويلة دون أن يفسد، كما أن أعشاب العصفر كانت تصدر الي المغرب الأدني من أشبيلية أيضاً . وتذكر وثيقتان من الجنيزة قمح الأندلس، واحدة كُتبت في عام٤٤١هـ/ ١٠٥٠م، تذكر أن تاجراً باع الصباغ في الأندلس واشتري "قمح أندلسياً"، في حين تذكر الرسالة الأخري، وهي بعد نحو تسعين سنة شحنة من القمح نُقلت من إشبيلية إلي طرابلس(٢).

وبرعت بلاد الأندلس في صناعات عدة ويؤيد المقري هذا القول نقلاً عن ابن سعيد بقوله:" وإلي مصنوعات الأندلس ينتهي التفضيل وللمتعصبين لها في ذلك كلام كثير"، فقد انتجت مدنها مثل المرية ومالقة ومرسية وغرناطة والبيرة وجيان من السلع الفاخرة لاسيما التي تخص الطبقة الحاكمة في المجتمع. ومن تلك المصنوعات البسط والحصر والحديد من السكاكين والأقصاص من الذهب وغير ذلك من آلات العروس والجند مما يبهر العقل علي حد قول المقري، ومن

١) الزُهري: مصدر سابق، ص١١٣، ١١٤، ١١٧، ١١٨، الإدريسي: مصدر سابق، جـ١، ص٢٤١، ٢٥٢، ٢٥٨، عز الدين موسي: النشاط الاقتصادي، ص٣٢٤، ٣٢٥، رشيد بورويبة: مرجع سابق، ص١٥٠.

٢) العذري: مصدر سابق، ص٩٦، المقري: مصدر سابق، جـ٤، ص٢٠٥، أوليفيا ريمي كونستبل: مرجع سابق، ص٢٤٩.

obeikan.com

المصنوعات الأندلسية التي كانت تصدر إلي بلاد المغرب الفخار الذي اشتهرت مالقة بصناعته الدقيقة، كما كان يرد إلي بلاد المغرب من مدينة شاطبة في الأندلس أنواع من الورق اشتهرت الاندلس عموماً بصناعته[١].

كما كانت الثياب المختلفة الدقيقة الصنعه لاسيما المرصعة والحريرية والصوفية والديباج من أهم ما أنتجته الأندلس وصدره للمغرب الأدنى. وتذكر وثائق الجنيزة أن طلب تجاري أُرسل من تونس إلى الأندلس في عام٤٤١هـ/١٠٥٠م (من بين الأشياء الأخرى) المطلوبة خمسون عباءة ورداء وعشرة أزواج من الجوارب و "غطاءات من قماش صوف البحر ... مقابل حرير أخضر وأحمر"، وهناك قائمة مماثلة كُتبت بعد نحو عشر سنين ، تذكر شراء خمس وثمانين " عباءة أندلسية "[٢].

ويُعد القطن من الحاصلات الزراعية الهامة التي كان يصدرها الأندلس إلى بلاد المغرب . فقد صدر الأندلس كميات كبيرة منه، وكانت أشبيلية من أهم المدن الأندلسية المصدر للقطن حيث كانت تنتج كميات وفيرة، إذن يجود بأرضها فيعم بلاد المشرق ويتجهز به التجار إلي إفريقية وسجلماسة وغيرها، كما كان الحرير الخام من أهم واردات المغرب الادني من الأندلس. إن وثائق الجنيزة غنية بالوثائق التي تتحدث عن بيع الحرير الخام الأندلسي في بلاد البحر المتوسط لاسيما المغرب الأدنى خلال القرنين الخامس والسادس للهجرة/الحادي عشر والثاني عشر للميلاد، وقد وثقت الجنيزة أن القرمزي الأندلسي كان يصدر إلي تونس، كما في رسالة من القرن

١) ابن حوقل: مصدر سابق، ص١٠٩، المقري: مصدر سابق، جـ١، ص١٥٦، جـ٢، ص٦٨، جـ٤، ص٢٠٧، سامية مصطفي مسعد: مرجع سابق، ص١٧١، هشام ابو رميلة: مرجع سابق، ص٣٨٥، نريمان عبد الكريم أحمد: مرجع سابق، ص٢١٩، ٢٢٠.

٢) المقري: مصدر سابق، جـ٢، ص٦٨، جـ٤، ص٢٠٧، ابن حوقل: مصدر سابق، ص١٠٩، ١١٠، نريمان عبد الكريم أحمد: مرجع سابق، ص٢١٩، ٢٢٠، سامية مصطفي مسعد: مرجع سابق، ص١٧١، أوليفيا ريمي كونستبل: التجارة والتجار في الأندلس، ص٢٦٧.

obeikan.com

الخامس الهجري /الحادي عشرالميلادي حيث تطلب شحنة من القرمزي من الأندلس إلي تونس ، كما كانت تونس تستورد من الأندلس فرو نوع من الأرانب الثمين الذي يستخدم كفراء يمكن حياكته ولبسه[١].

كما أمدت الأندلس بلاد المغرب بأنواع متفرقة من أنتاجها فصدرت إلي تونس فراء القنلية، أما جلد السفن فقد صدرت الاندلس كميات وفيرة منه إلي بلاد المغرب. أما الزعفران وعروق الزنجبيل، فكانت تحمل من بياسة وجيان إلى بلاد المغرب[٢].

أما المعادن فقد أمدت الأندلس بلاد المغرب بكثير من أنواعها المختلفة لعل من أهمها معدن الزئبق؛ وتعد مدينة قرطبة من أهم المدن الأندلسية المنتجة والمصدرة لمعادن الزئبق والفضة والحديد والرصاص؛ كذلك أمدت الأندلس بلاد المغرب بمعدن التوتيا حيث كانت غرناطة تنتج كميات وفيرة. وقد ذكرت وثائق الجينيزا الزئبق وكبريتاته من بين الصادرات الأندلسية خلال القرنين الخامس والسادس للهجرة/الحادي عشر والثاني عشر للميلاد ، أما الأخشاب فقد صدرت الأندلس

١) العذري: مصدر سابق، ص٩٦، المقري: مصدر سابق، جـ١، ص١٩٨، الحميري: مصدر سابق، ص٥٩، سامية مصطفي مسعد: مرجع سابق، ص١٦٩، أوليفيا ريمي كونستبل: مرجع سابق، ص٢٦٠، ٢٦٤، ٢٦٥، محمد عادل عبد العزيز ابراهيم: مرجع سابق، ص٢٠.

٢) الاصطخري: مصدر سابق، ص٣٥، المقري: مصدر سابق، جـ١، ص١٨٤، ١٨٥، جـ٢، ٢٠٤.

القنلية: حيوان أدق من الأرنب، وكثيراً ما يلبس فراؤها ويستعملها أهل الاندلس من المسلمين والنصاري، أما جلد السفن فهو جلد غليظ يشبه جلد التماسيح كان يتخذ جلده مقابض للسيوف، انظر: المقري: مصدر سابق، جـ١، ص١٨٤، ١٨٥، جـ٢، ٢٠٤.

obeikan.com

الكثير منه إلي بلاد المغرب حيث كان يأتي من حصن "قيشاطة (QUESADA ) وجزيرة يابسة[١].

أما عن واردات المغرب الأدنى من بلاد أوروبا وجزر البحر المتوسط، فنلاحظ أن إيطاليا الجنوبية وخصوصاً صقلية حرصت علي ترويج جزء من فوائضها من القمح في إفريقية. وقد ظهر من الرسائل بروز بيزة علي وجة التحديد في جلب القمح إلي بلاد المغرب الأدنى[٢]. كما تعاطى البنادقة تلك التجارة في أغلب الأحيان، ولكن الملوك الذين تقلدوا الحكم في مملكة نابولي وصقلية، لم يستنكفوا دائماً عن ممارسة تلك التجارة بأنفسهم، ففي النصف الأول من القرن الثالث عشر، طبق الإمبراطور فريدريك الثاني نظام بيع المواد الصالحة للاستهلاك، في الخارج بصورة مباشرة من طرف الدولة. فقد كان يوسق إلي تونس علي متن سفنه كميات من الحنطة يمكن أن تبلغ خمسين ألف حمولة وذلك عام٦٣٧هـ/١٢٤٠م. وكان المغرب الأدنى يستورد الحبوب من حنطة وشعير من مناطق أخري خارج البلاد الإيطالية، مثل قطلونيا ومختلف المناطق التي تتألف منها مملكة ميورقة. ويرجح أن القمح كان يرد من قبرص إلي طرابلس ، ويجب ملاحظة أن استيراد القمح من أوربا كان عند الضرورة فقط وليس قاعدة ثابتة[٣].

---

١) الزهري: مصدر سابق، ص١٢٨، ١٢٩، ابن حوقل: مصدر سابق، ص١٠٩، ٤٨٨، عبد الواحد المراكشي: مصدر سابق، ص٢٦٣، الحميري: مصدر سابق، ٤٥٦ – ٤٥٨، ٤٨٨، سامية مصطفي مسعد: مرجع سابق، ص١٧٠، محمد عادل عبد العزيز ابراهيم: مرجع سابق، ص٢٠، أوليفيا ريمي كونستبل: مرجع سابق، ص٢٨١.

٢) رسالة من عبد الرحمن بن ابي الطاهر الناظر بديوان افريقية الي حكومة بيزة، ص٢٣ – ٢٨، روبار برنشفيك: مرجع سابق ، جـ٢، ص٢٦٨– ٢٧٠.

٣) Un Traité de paix et de commerce conclu pour dix ans entre Jacques Ier, roi d'Aragon et de Majorque seigneur de Montpellier, et Abou-Abd-Allah-Mahommed-El-Mostancer-Billah, roi de Tunis.pp٢٨٠ – ٢٨٤ , Traité conclu pour quinze ans entre Pierre III, roi d'Aragon et de Sicile, et Abou-Hafs, roi de Tunis, relativement au

وكانت صقلية المصدر الرئيسي للقمح بالنسبة لإفريقية، لاسيما في سنوات الجفاف والقحط[١]. والراجح أن التجارة عامة وتجارة القمح خاصة، بين صقلية ودول شمال إفريقيا استمرت حتي خلال السنوات الطويلة من الحروب القائمة بينهما. إلا أن الصقليين لم يصدروا القمح الي افريقية (في اواخر العصر الصنهاجي بني زيري) لسببين اثنين، حسب رأينا: أولاً لأن المهدية المفصولة عن منطقتها الخلفية لا نستطيع أن توفر للصقليين سلعاً نافعة يرجعون بها إلي بلادهم، وثانياً لأن هؤلاء حريصيين علي الاحتفاظ بالأرباح التي يوفرها لهم ضرب النقود، ومنع الإفريقيين من الانتفاع بها. كما كانت الجزيرة مصدر من مصادر سلع زراعية أخرى لبلاد المغرب الأدني، فمنها كان يُجلب الجوز واللوز والقسطل والفستق والبندق وغيرها من تلك الأصناف، ويُجلب منها أيضاً كثير من القطن والميعة الطيبة السائلة وهي من أعظم الأدوية وأكثرها فائدة ومنفعة لا توجد هذه الميعة السائلة في الهند[٢].

كما أشار بعض المؤلفين الفلورنتيين إلي الزيوت الأوربية وبالخصوص الإيطالية، الموردة بصورة منتظمة إلي إفريقية . ويبدو هذا الأمر غريباً بالنسبة إلي بلاد تصدر هي نفسها تلك المادة. إلا أن بعض الأدلة التاريخية تؤكد هذا الخبر، فحوالي عام٥٩٦هـ/ ١٢٠٠م كان بعض سكان بيزة يوسقون الزيت من توسكانية إلي

commerce de leurs États et au tribut dû par le roi de Tunis au roi de Sicile depuis le règne de Charles d'Anjou. Capmany,pp٢٨٦ – ٢٩١,

روبار برنشفيك: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٦٨– ٢٧٠، ممدوح حسين علي حسين: مرجع سابق، ص٦٥٧.

١) رسالة من حاكم بيزة إلى الخليفة ألموحدي أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، ص٧، ٨ ، جواتين: مرجع سابق، ص٢٢١، أمين توفيق الطيبي: مرجع سابق، ص٢٣٥.

٢) الزهري: مصدر سابق، ص١٣٠، ١٣١، عزيز احمد: مرجع سابق، ص٦٧، الهادي روجي إدريس: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٨٢، ٢٨٣. ، السيد عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب، ص٦٤.

obeikan.com

إفريقية . وفي عام٦٥٥هـ/ ١٢٨٥م أثبتت وثيقة صادرة عن ملك أرجونة أن اثنين من رعاياه قد جلبا الزيت في السابق الي تونس بما قدره ثلاثة آلاف وأربعمائة واثنان من الدنانير، ولكن هذا لا يدل طبعاً علي أن المغرب الأدني كان دوماً وأبداً في حاجة إلي استهلاك الزيت إلي الخارج. والراجح ان ذلك يرجع الى أنه كانت هناك بعض الفوارق بين الزيوت المختلفة المصادر، من حيث الجودة والثمن، الأمر الذي يبرر وجود تلك الحركة المزدوجة . وأما بالنسبة للفواكه التي يستوردها المغرب الأدني، فإن أغلبها كان معروفاً ضمن الإنتاج المحلي، مثل التين والجوز واللوز المصدرة من إيطاليا، بالإضافة القسطل الوارد من مرسيليا أو نابولي. وكان هناك سلعة أخرى يحرمها الإسلام، ولا يمكن أن ترد بصورة تكاد تكون مطلقة، إلا من الخارج أي الخمر. فقد كانت إفريقية تستورد تلك المادة من المناطق الواقعة في الضفة الأوربية من البحر المتوسط، من اسبانيا إلى بلاد اليونان، لاستهلاك اليهود والنصاري، ولكن أيضاً لاستهلاك عدد من المسلمين[١].

وكان التجار النصاري يبيعون في بلاد المغرب الأقمشة والمنتوجات الشرقية. وكانت المدن الايطالية خاصة جنوه تصدر كميات هائلة من الأقمشة إلي شمال أفريقيا خاصة المغرب الأدنى، لاسيما في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي، وبعض هذه الأقمشة كان محلياً، لكن بعضه الآخر كان إنجليزياً وهو أمر له دلالته. وأهم هذه المنسوجات التي ورد ذكرها في الوثائق الجنوية في النصف الثاني من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي هى: الفساتين والأقمشة الكتانية والحريرية[٢].

---

١) روبار برنشفيك: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٦٨– ٢٧٠.

٢) جوزيف شاخت، كليفورد بوروورث: مرجع سابق، جـ١، ص٢٨٧، أمين توفيق الطيبي: مرجع سابق، ص١٣٨، ١٣٩، روبار برنشفيك: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٧٠ – ٢٧٢، هشام أبو رميله: مرجع سابق، ص٣٩٩.

كما كان البلور ومواد الصباغة واللاك (يُعطي لوناً أحمر) والنيلة . ثم الأحجار الكريمة تُحمل إلى المغرب الأدنى عن طريق المدن الإيطالية خاصة جنوة [١]. كما كان المغرب الادنى يستورد من أوربا بالرغم من تحريمات الكنيسة ، الخشب والمعادن النافعة مثل الحديد والقصدير وبالخصوص النحاس والأسلحة[٢]. ومن الأمور اللفتة للنظر كثرة الفضة المسكوكة التي كانت ترسلها مرسيليا في القرن الثالث عشر الميلادي إلى تونس وبجاية علي وجه الخصوص. وكانت الجمهوريات الإيطالية تصدر في غالب الأحيان إلي إفريقية الأحجار الكريمة كالياقوت الأحمر والوردي والزمرد والفيروز والؤلؤ والمجوهرات المختلفة، التي ينبغي أن تُضاف إليها المصنوعات الزجاجية الواردة من البندقية. ومن بين تلك الأشياء نذكر المرجان المصنوع في جنوة أو مرسيليا، والذي يرجع هكذا في شكل مادة مصنعة إلي البلد الذي انتجه [٣].

وأخيراً ينبغي أن نضيف إلي قائمة البضائع المستوردة الحيوانات والعبيد ذات الأهمية التجارية المتفاوتة؛ فقد أشارت بعض المصادر في آخر القرن السابع الهجري/ الثالث عشرالميلادي إلي توجيه سفينة إلي تونس محملة بالخيول والعصافير المعدة للبيع، من طرف أحد تجار مونبيلية، ولكن في أغلب الأحيان تكون الحيوانات الحية الواردة من أوربا إلي إفريقية، فإن تجارة العبيد كانت تجارة مربحة ونشطة الي حد كبير، حيث كان سوق المهدية يختص بالجواري الروميات، اللاتي كن يجلبن من

---

١) أمين توفيق الطيبي: المرجع السابق، ص١٣٨، ١٣٩، ممدوح حسين علي حسين: مرجع سابق، ص٦٥٧.

٢) الزهري: مصدر سابق، ص٧٨، روبار برنشفيك: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٧٠ – ٢٧٢، ممدوح حسين علي حسين: مرجع سابق، ص٦٥٧،

Armand O. Citarella ; op,cit, p ٥٣٣ .

٣) روبار برنشفيك: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٧٠– ٢٧٢

Armand O. Citarella ; op,cit, p ٥٣٣ .

obeikan.com

بلاد الفرنجة والصقالبة وممالك اسبانيا المسيحية ؛ كما كانت بيزة تصدر للمغرب الزعفران والقطن(١).

أما واردات المغرب الأدنى من مصر– كمعبر لسلع الشرق عموماً – فكانت الأقمشة خاصة المذهبة والمنقوشة، ترد إلي بلاد المغرب من مصر. كما أن المنسوجات الحريرية والكتانية كانت من أهم السلع المصرية التي تصدر إلي المغرب، وكان قماش البوقلمون – الذي ينسج في تنيس من أولي تلك الصادرات المصرية لبلاد المغرب الأدنى، وهو قماش لا ينسج في مكان آخر من جميع العالم ، وهو قماش يتغير لونه بتغير ساعات النهار. علي أن هناك احدي الصادرات التي فاقت في كميتها وفي قيمتها غيرها من السلع المصدرة ألا وهي الكتان المصري، الذي تظهر فيه أكثر من سبعة عشر نوعاً في وثائق الجنيزة، وتتضمن وثائق الجنيزة معلومات وفيرة وخصبة عن تجارة الكتان وفي رسالة أُرسلت حوالي عام ٤٣٢هـ/١٠٤٠م إلى تاجر تونسي مقيم في الفسطاط، فإن كاتب الرسالة ذكر له أنه كان يبيع أربع بالات من الكتان المصري كل يوم، ويتضح لنا من هذه الرسالة شدة الطلب علي هذه السلعة. ويندرج تحت قائمة الصادرات المصرية إلي بلاد المغرب التوابل والبخور والعطور التي كانت ترد إلي مصر من بلدان الشرق الأقصي، حيث ينقلها التجار المغاربة إلي بلادهم(٢).

كما كانت بلاد المغرب الأدني تستورد من مصر العطور والأبزاز، وخشب الساج والجوهر والياقوت والعقيق، فضلاً عن المعادن النفيسة خاصة معدن الزمرد

---

١) الزهري: مصدر سابق، ص٧٨، روبار برنشفيك: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٧٢، كمال السيد أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ص٦٩.

٢) ناصر خسرو: مصدر سابق، ص٩٢، أمين توفيق الطيبي: مرجع سابق، ص١٤١، ١٤٢، ٢٤١، حسن خضيري أحمد: مرجع سابق، ص١١٦، ١١٧، حامد عمار: مرجع سابق، ص ٦٨، ٦٩، أحمد إسماعيل الجمال: مرجع سابق ص١٤٨.

obeikan.com

الذي كان يُستخرج من صحراء قوص، والذي ليس له نظير في سائر أقطار الأرض، وكان من بين أنواع الزمرد ، نوع يُعرف بالمغربي، ويعلل صاحب الاستبصار تسميته بالمغربي بقوله، لأن ملوك المغرب والإفرنج والأندلس يتنافسون عليه ". وتصدر مصر إلي المغرب بعض خامات تصنيع الجواهر مثل اللؤلؤ والأحجار الكريمة، والفيروز وبعض أصناف الأصداف الصغيرة[١].

وهذا بالإضافة إلى المر والمسك والكافور التي اشتد عليها الطلب في بلاد المغرب، كذلك تضم هذه الصادرات بعض المواد الأولية المستخدمة في الصناعات مثل مواد الصباغة والدباغة كالبقم والنيلة، ونظراً لشهرة بلاد المغرب بصناعة المنسوجات فقد ازداد الطلب علي هذه المواد، يتجلي ذلك مما أوردته احدي وثائق الجنيزة عن التاجر اليهودي عروس بن يوسف الذي تخصص في صباغة الملابس الأرجوانية ، وكان يعيش في الفسطاط، حيث أرسل شحنة من الأرجوان – وهي مادة للصباغة – في عام ٤٩٤ هـ / ١١٠٠م من الفسطاط إلي صفاقس، كما كانت تصدر مصر إلي المغرب بعض المواد الكيمياوية وأهمها ملح الأمونيوم . كما كانت افريقية تستورد أوعية تستخدم في حمل وحفظ الحبوب والثمار الجافة تسمى (قفاف) وكانت مصنوعة من مادة النيلة كما استوردت حصر الكتان من الاسكندرية[٢].

كما كانت بلاد المغرب الأدني تستورد من مصر خاصة الإسكندرية عن طريق البحر العبيد بشتى أنواعه فتذكر رسالة من عبد الله بن خراسان ارسلها إلى حكومة

---

١) مجهول: الاستبصار، ص٨٦، أوليفيا ريمي كونستبل: مرجع سابق، ص٢٥٢، حسن خضيري أحمد: مرجع سابق، ص١٢٠، أوليفيا ريمي كونستبل: مرجع سابق، ص٢٥٢.

٢) المازري: مصدر سابق، ص٢٨١– ٢٨٣، الهادي روجي إدريس: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٨٥– ٢٨٨، حسن خضيري أحمد: مرجع سابق، ص١٢٠.

obeikan.com

بيزة، أن سفينة قادمة من الإسكندرية كانت محملة ببضائع عدة من أبرزها العبيد ومن سياق الكلام يُفهم أن هؤلاء العبيد كانوا من جنسيات مختلفة[١].

كما كانت السفن تحمل بضائع محرمة دينياً من الإسكندرية إلي بلاد المغرب خاصة الأدني، وعلي رأس تلك السلع الخمور ، والتي كانت السبب في اشتباك ابن تومرت مع صاحبها على السفينة التي سافر عليها من الاسكندرية الى المغرب وذلك بعد أن أراقها[٢].

من جانب آخر يذكر لنا المقريزي أن مصر صدرت إلى بلاد المغرب عامة الغلال، ورغم غرابة المعلومة إلا أن المقريزي يبرر ذلك أن تصدير الغلال من مصر إلى بلاد المغرب كان في أوقات التي تشتد فيها المجاعات وارتفاع الاسعار ببلاد المغرب فقط وليس في جميع الأوقات[٣].

كذلك كانت بلاد المغرب تستورد من الشام سلع اشتهرت بها المدن الشامية، مثل الثياب البيض التي اشتهرت بها مدينة صور بالشام[٤].

الواقع أن مصر كانت مستودعاً للتجارة بين أوربا والهند، وأن جميع سلع الشرق كانت تمر عن طريق الإسكندرية إلي بلاد المغرب الأدنى. من الطبيعي أن تحتوي وثائق الجنيزة علي وجه الخصوص، علي معلومات قيمة خاصة عن البضائع المتبادلة بين بلدان المحيط الهندي والبحر المتوسط [٥]. وهنالك قائمة مؤقته تحتوي على سبع

---

١) رسالة من من عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الحقّ بن ابي خرسان الي حكومة بيزة، ص١ – ٦ .

٢) ابن القطان المراكشي: مصدر سابق، ص٩٢.

٣) المقريزي: السلوك، جا، ص٢٣٣.

٤)الادريسي: مصدر سابق، ص٣٦٦.

٥) حسن خضيري أحمد: مرجع سابق، ص ١١٨،

Goitein.S.D : From the Mediterranean to India , p١٨٥- ١٨٧ , Marcus Arkin : op,cit,pp ٤٤ – ٤٦ , ٥٢ , ٥٣ .

obeikan.com

وسبعين سلعة مصدرة الي الغرب كالآتي: توابل وعطور ونباتات للصباغة والدهان وأعشاب طبية وحديد وصلب وأواني نحاسية وبرونزية وحرير هندي وبعض الملبوسات المصنوعة أساساً من القطن ولألئ وخرز وصدف وعنبر وأحذية ، وبعض المصنوعات الجلدية مادتان وخزف صيني وآنية يمنية من الحجر وعاج افريقي وفواكه استوائية مثل جوز الهند وخشب ( للبناء أو النجارة)[١].

ونلاحظ من تلك الوثائق أن التوابل من أهم سلع الشرق الأقصى التي تأتي عن طريق مصر إلي بلاد المغرب الأدنى، وكان الفلفل أكثر هذه التوابل طلباً، وأشهر مناطق إنتاجه مجموعة جزر جنوب شرق آسيا والهند، وكان للفلفل أسواق رائجة في بلاد المغرب، كما كان الطلب في بلاد المغرب شديداً علي الدارصيني (القرفة)، التي تنبت ببلاد الصين والملايو والحبشة، ثم القرنفل الذي كان يأتي من ملقا وسومطرة ، ويصل ثمنه إلي ثلاثة أضعاف ثمن الفلفل لاستخدامه في الغذاء والدواء، هذا فضلاً عن جوزة الطيب والزنجبيل الذي يحتل مكاناً بين الكماليات بعد الفلفل. كما كان يُجلب جلود الحيوانات مثل جلود الخيل والحمير(الكيمخت) والمسك والعود والنارجيل(جوز الهند) وأعشاب عطرية من الفصيلة الزنجبارية مثل

---

١) رسالة من التاجر المغربي اليهودي علان بن حسون في عدن إلي خاله عروس بن جوزيف الارجواني المهدوي في مصر، ص ٤٥٥، ٤٥٦، جواتين: مرجع سابق، ص٢٦٣، روبار برنشفيك: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٦٨ – ٢٧٠، أمين توفيق الطيبي: مرجع سابق، ص١٣٨، ١٣٩،

ويجب ملاحظة ان الرسالة السابقة هي مجرد مثال علي ذكر تلك البضائع في وثائق الجنيزة، وان هذه القائمة هي خلاصة مائة وخمسين وثيقة خاصة بتجارة الهند، ويزعم جواتين ان عدد هذه الوثائق قد تضاعف الان الا انه ليس هنالك تغيير جوهري في اعداد هذه المجموعات، انظر : جواتين: مرجع سابق، ص٢٦٣،

Goitein.S.D ; Portrait of a Medieval India Trader , pp٤٥٠ – ٤٥٤ . The Cairo Geniza as a Source for the History of Muslim Civilisation , Studia Islamica, No. ٣ (١٩٥٥) ,pp ٨١ , ٨٢ .

القاقلة(الحبهان) والخولنجان والبسباسة والهليلجات(حبوب سوداء تشبه الزيتون)، وكذلك الابنوس والكافور والقرنفل والكبابة وأنياب الفيلة والرصاص القلعي والقنا والخيزران وفوق كل هذا تأتي النيلة وأعشاب طبية مثل البقم والرواند المستخدم لعلاج الكبد[١].

أما الملابس فهنالك شاش هندي (موسلين) كان يُسمي في بعض الخطابات "لانيس" وفي البعض الآخر "لاليس" كذلك كانت هنالك ملابس صُنعت منه ورد ذكرها مراراً أُرسلت هدايا، وأرسلها تجار الهند الي زوجاتهم فقد تم الاتجار في كميات لها وزنها من مصنوعات الهند القطنية، ولكنها كانت تأتي في المرتبة الثانية من الأهمية. وبسبب احتلال الملابس الحريرية الجانب الأكبر من التجارة، كانت الملابس الغالية هي التي تستحق الابحار من أجلها، لكن تجار اليهود الذين ورد ذكرهم في وثائق الجنيزة جلبوا هذه الملابس إلي عملائهم من الطبقة المتوسطة، كما كان لاغنياء القيروان تذوق مُفرط للمنسوجات الغالية الثمن والزاهية الألوان وخاصة تلك التي ترد من بلاد إيران. وعُرفت المنسوجات المشار إليها باسم الاعلاق، وهي قطع ذات قيمة خاصة، تباع بمفردها عن الملابس الاخري التي كانت تباع في أعداد كبيرة وخاصة بين تلك التي وُجدت بين الملبوسات المستوردة [٢]. كما كان يجلب من بلاد الهند الحرير القاقلي والثياب القاقلية الثمينة، كذلك كان

---

١) الإدريسي: مصدر سابق، جا، ص١٩٠– ١٩٢، ٢٠٢، ابن بطوطة: مصدر سابق، ص٥٥٩، ٥٧٣، ٦١٥، ٦٢٢، ٦٢٣، الحميري: مصدر سابق، ص٤٠٨، حسن خضيري احمد: المرجع السابق، ص١١٩،

A. Lawsuit of lawsuit of Ibn Sughmar vs. Joseph Lebdi in Session of the Rabbinical Court of Fustat, Fustat, November ١٢, ١٠٩٧,pp٢١٣ – ٢١٥ .

٢ ) رسالة من التاجر المغربي اليهودي علان بن حسون في عدن إلي خاله عروس بن جوزيف الارجواني المهدوي في مصر، ص ٤٥٥، ٤٥٦، جواتين: مرجع سابق، ص٢٤١، ٢٤٢، ٢٦٣، ٢٦٤،

Goitein.S.D ; Portrait of a Medieval India Trader , pp٤٥٠ – ٤٥٤.

obeikan.com

يجلب من الصين ملابس الحرير القسي وهي ثياب مطرفة ويعمر الثوب منها كثيراً[١].

وكانت مصنوعات الهند خاصة النحاسية منها والبرونزية مطلوبة للغاية، حتي أن تجار عدن كانوا يخاطرون بركوب البحر إلي الهند لاحضار هذه الأواني النحاسية منها بدلاً من أن يستوردوا مثيلتها من نحاسي اليمن، برغم أن تلك التي كانت تصنع في اليمن كان لها تقليد طويل عندهم[٢].

وذكر الزهري أن بضائع الرفاهية أو الترف من الهند والسند والعراق كانت صُدرت إلي افريقيا والأندلس عبر مصر. فقد كان أمراء بنو زيري يقدرون المنتجات الأسيوية حق قدرها، وأتاح الرخاء الذي شاع بصفة عامة في هذه البلاد لعدد كبير من الأفراد أن يستمتعوا بهذه المنتجات، وكما كان من ضمن هذه الواردات أخشاب الهند الثمينة التي كانت تدخل في بلاد البربر، وكان لهذه الأخشاب طلب كبير في قصور بني زيري؛ فيذكر ابن عذارى أن أم المعز بن باديس وضع لها بعد وفاتها في تابوت من عود هندي رُصع بالجواهر؛ ومسامير الذهب، كذلك فإن الخزف الصيني والأشياء النادرة مثل الأواني اليمنية الحجرية تظهر في قوائم الهدايا، لكنها كانت لا تظهر علي أنها سلع للاتجار المنتظم . ويقال ان بعض "القباقيب " المستخدمة في قصور بني زيري صنعت من الأخشاب النفيسة المستوردة من الهند، لقد قيل إن المعز بن باديس صرف في جهاز ابنته أكثر من عشرة ملايين دينار، وحين ماتت أمه

---

١) الإدريسي: مصدر سابق، جا، ص٢٠٦، ٢٠٧.

٢) رسالة من التاجر المغربي اليهودي علان بن حسون في عدن إلي خاله عروس بن جوزيف، ص ٤٥٥، ٤٥٦، جواتين: مرجع سابق، ص٢٦٣، ٢٦٤،

Goitein.S.D ; Portrait of a Medieval India Trader , pp٤٥٠ – ٤٥٤.

obeikan.com

أرسل فجلب لقبرها خشباً من الهند وجعل له قفلاً من ذهب ، وكان المغرب يستورد الجواهر والياقوت من الهند والخليج الفارسي[١].

والراجح أن تلك السلع لم تصل المغرب الأدنى عن طريق التجار اليهود فحسب، بل عن طريق التجار الإيطاليين، حيث كانت ترد هذه السلع ايضاً عن طريق البحر عبر أحد الموانئ الإيطالية أو عن طريق مرسيليا ، حيث يخزن المتاجرون تلك المواد هناك قبل اعادة وسقها إلى بلاد المغرب[٢].

من خلال ما سبق يمكن القول أن السلع التي كانت تدخل في نطاق النشاط التجاري البحري للمغرب الأدنى، يمكن تصنيفها إلى قسمين صادرات وواردات، أما الصادرات فقد صدر المغرب الأدنى العديد من السلع إلي باقي بلاد المغرب والدول الأوربية وبلاد مصر والشرق المسلم والشرق الأقصى. ومن تلك السلع بعض المعادن والأحجار مثل الذهب والفضة والنحاس والملح والمرجان والرخام والشب وبعض المنسوجات القطنية والكتانية والصوفية الغالية الثمن، وأنواع عديدة من الجلود، بالإضافة إلى منتجات زراعية وغذائية اشتهرت بها المغرب الأدنى كالحبوب والزيتون وزيتة والتمور، ولم تكن كل البضائع من صنع إفريقية، بل الكثير منها كان يرد إليها من بلاد المشرق. أما الواردات فقد استورد المغرب الأدنى العديد من السلع من باقي بلاد المغرب والدول الأوربية وبلاد مصر والشرق المسلم والشرق الأقصى، ومن هذه السلع منسوجات قطنية وحريرية وملابس فاخرة ومواد غذائية خاصة القمح وبعض الفواكه وتوابل وعطور ونباتات للصباغة والدهان، ومعادن كالحديد والزئبق واحجار كريمة كالياقوت والزمرد

---

١) أرشيبالد.ر.لويس: مرجع سابق، ص٣٣٠، ٣٣١، جواتين: مرجع سابق، ص٢٦٥، أوليفيا ريمي كونستبل: مرجع سابق، ص٨٢، ص١١٩، رياض زاهر: مرجع سابق، ص٨٨، أحمد إسماعيل الجمال: مرجع سابق، ص١٤٨.

٢) روبار برنشفيك: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٦٨– ٢٧٠.

obeikan.com

واللؤلؤ والمجوهرات المختلفة. وأواني نحاسية ومصنوعات منزلية كالبسط والحصر. بالاضافة للخشب والأسلحة.

## ثالثاً – الأسعار والضرائب:

تحكم في حركة النشاط التجاري البحري للسلع خلال فترة الدراسة عاملان مهمان هما أسعار تلك السلع والضرائب المفروضة عليها سواء في مراكز المغرب الادنى البحرية أم في غيرها من المراكز البحرية بالبلاد الأخري، وسوف نعرض لهاذين العنصريين فيما يأتي:

### أ – الأسعار:

أثرت الأسعار علي الحركة الدولية لتجارة السلع أكثر من القواعد التشريعية في البحر المتوسط في العصر الاسلامي. ومن الصعب تحليل الأسعار وتحديد المستوي "الطبيعي" حتى قوائم الأسعار التفصيلية المتبادلة بين التجار في تلك الفترة، وتشير وثائق من الجنيزة إلى أنهم قد اعتبروا الأسعار متحركة، مع أنهم وعند جمع حساباتهم يمكن للمؤرخين اليوم أن يفهموا شيئاً عن الاتجاهات العامة للتسعير. وقد لوحظ صعوبة دراسة الأسعار بسبب غموض المعلومات المصدرية الخاصة بنوعية البضائع المتاجر بها ونوعية الأوزان والمقاييس وقيمة العملة المدفوعة، وأخيراً الزمن والمكان والظروف الخاصة للصفقة المعنية[١].

ونلاحظ أن التقلبات في الأسعار تنشأ نتيجة التغيرات في العرض وفي الطلب (الذي يتضح في الخطابات) وظروف الحرب أو خطر القرصنة الكبير أو نقص المؤن

١) أوليفيا ريمي كونستبل: المرجع السابق: ص٢٠٩، ٢١٠.

openkan.com

بسبب المجاعة والقحط، أو عدم وصول السفن المتوقع وصولها أو وصول سفن غير متوقعة[١].

وتذكر لنا المصادر العربية معلومات شحيحة عن أسعار بعض السلع الداخلة في نطاق النشاط التجاري البحري لبلاد المغرب الادنى ، فمثلا يذكر البكري أن تجار مصر والمغرب والروم يشترون زيت صفاقس الأربعين رُبعاً بمثقال واحد[٢].

من جانب اخر ذكرت لنا بعض الوثائق التجارية التي ترجع لتلك الفترة بعض أسعار السلع التي اشتراها التجار الايطاليين من موانئ المغرب الادني، فمثلا ذكرت لنا وثيقة أن تسع مائة وتسعة جلود ثمنها ثلاثة وسبعون دينارا ونصف دينار ، أي أن ١٢,٥ قطعة جلد بـ دينار واحد تقريباً، كما أن ثمن تسعة قناطير صوف ثلاثون دينارا الا نصف دينار أي أن القنطار الصوف كان يساوي حوالي ٣,٣ ديناراً تقريباً [٣]. كما ذكرت لنا وثيقة اخري اسعار اخري حيث ان الف قطعة جلد ثمنها مائة دينار وخمسة وستون دينارا أي أن المائة جلده بستة عشر دينارا، وذلك وفق بيع الجملة علي حد وصف الوثيقة، كما ذكرت أيضاً أسعار لتاجر أخر فتقول ستمائة قطعة جلد وخمس جلود جاء ثمنها تسعين دينارا وسبعة دراهم سكّة، كما تذكرت الوثيقة سعر سلعه اخري علي الأرجح انها النحاس ، وأن تسعة قناطير نحاس بيع بسبعة دنانير

١) البرزلي: مصدر سابق، جـ٣، ص٤٥٣، جواتين: مرجع سابق، ص٢٤٢ – ٢٤٣، السيد محمد الملط: مرجع سابق، ص٥٧، أوليفيا ريمي كونستبل: مرجع سابق، ص٢٠٩، ٢١٠، ١٣٠، ١٣١.

٢) البكري: مصدر سابق، ص٢٠.

٣) رسالة من التاجر محرز القابسي الي التاجر الكبير باج البيزي، ص ٤٨، ٤٩.

obeikan.com

القنطار[١]. كما تذكر وثيقة أخري أن ثمن الف واربعمائة وخمسة وثمانين جلد خروف مائتين وواحد وخمسين دينار وستة دراهم سكة[٢].

كما أن وثائق الجنيزة ذكرت بعض أسعار سلع مغربية مصدرها المغرب الأدنى في السوق المصرية؛ فمثلاً أشارت رسالة من سليمان بن إبراهيم الرُّقي إلى أبي الفرح نسيم الرُّقي، في أواخر القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي أن هناك ارتباك وركود السوق المصرية نتيجة تفشي بعض الأوبئة مما انعكس علي تدهور الكثير من أسعار السلع ومنها القادمة من المغرب الأدنى، ومن هذه السلع الأقمشة وبعض المنتجات النسيجية المُستوردة من المغرب الأدنى، حيث تذكر الرسالة المُشار إليها أن القماش الأشقر "شقرة" – درجة أولي – يساوي أربعة دنانير علي الأكثر، والأصناف الأخرى أقل من أربعة دنانير، أما الفُطَ غير المقصَّرة ٧ دينار (للعشرة)، وأما الفوط الحمراء فليس عليها طلب...أما الملاحف فتذكر الرسالة أن سوقها راكدة ، والزيت فيباع ٢٥ رطلاً منه بدينار، أما جباب الخز فلا تساوي شيئاً، فالجُبّة تباع بأقل من أربعة دنانير[٣]. ومن أسعار السلع المغربية بالسوق المصرية تذكر رسالة ترجع لعام ١١١٩ م سعر المرجان المغربي، ويبدو أن السوق في هذا العام كان في حالة اضطراب ايضاً والأسعار رخيصة، فتذكر الرسالة أن المرجان التراب (غير

١) رسالة من رسالة من التاجر المغربي هلال بن خليفة الجمونسي الي التاجر البيزي الكبير باج، ص٥٠ – ٥٢.

٢) رسالة من التاجر الحاج صدقة الجلاد بتونس إلي التجار البيزيون سرفرسطان وسرففيان وسربلناط كرك وسرالبان، ص٦٠، ٦٢.

٣) رسالة من سليمان بن إبراهيم الرُّقي إلى أبي الفرح نسيم الرُّقي، في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، ترجمة أمين توفيق ألطيبي في كتاب دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، جـ٢ ، ص٢٤٠ ، ٢٤١

Obeikan.com

منظوم ) يباع في (دار المكوس) بمبلغ ١١,٥ دينار، وبيع بعضه حتى بثمانية دنانير، رغم أن ما يمتلكه هذا التاجر من مرجان سعره الأصلي ٢٠ ديناراً[١].

كما ذكرت لنا فتوى مطولة للمازري نسخة محضر يتعلق بتقديم حساب مفصل ضبطه عامل في القراض بالعروض، وقد ارتحل الي الإسكندرية ومعه كمية من المرجان والحرير ، تولي بيعها واشتري بثمنها قفافاً من النيلة "وخمس حصر كتان". ومن بين أرقام وتفاصيل هذا الحساب نستنتج المعلومات التالية : أنه باع المرجان الذي كان معه بأربعمائة دينار واربعة وثمانون درهماً وثلث وربع درهم ، كما أنه اشترى من الاسكندرية خمس قفاف نيل بثلاثمائة دينار وسبعة وسبعين، واشترى أيضاً خمسة حصر كتاني بمائتي دينار وثلاثة عشر ديناراً؛ واشترى أيضاً قرنفلاً بمائتي دينار وثمان دنانير، ومسك بخمسة وعشرون دينارا، وأقمشة بخمسون مثقالا، وعندما وصل إلى بلاد المغرب الأدنى باع النيلة بسعر يتراوح بين ٢٦٠٠ و٣,٣٠٠ درهم القنطار الواحد المسلم إلي الصباغين (بتونس؟) بثمن معجل أو مؤجل مقابل بينة وبيع قنطار الكتان بنحو ٣٩٢ درهماً، وبيعت الأقمشة بمبلغ ٢٥٠٠ درهم، وكبش القرنفل بمبلغ ٣٥٨٢ درهماً[٢].

**ب- الضرائب:**

كانت الضريبة الحكومية مجالاً يدرك من خلاله التجار خلال فترة الدراسة وطأة سلطة " الحاكم "[٣]. وبما أن التجارة تعتبر الفائدة الكبري فإن حكام المغرب في علاقاتهم مع الأوربيين أقاموا رسوماً جمركية علي دخول وخروج البضائع ، فقد كان

---

١) رسالة من إسحاق النيسابوري بالإسكندرية إلي أبي العلاء صاعد يوسف الدمشقي بالفسطاط في حدود سنة ١١١٩م، ص٢٤٥، ٢٤٦.

٢) المازري: مصدر سابق، ص ٢٨١ – ٢٨٣، الهادي روجي إدريس: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٨٥- ٢٨٨.

٣) هوبكنز: مرجع سابق، ص٧٤، أوليفيا ريمي كونستبل: مرجع سابق، ص١٩٨، ١٩٩.

Obeikan.com

النصارى في البلدان الإسلامية يؤدون حقوق الجمارك علي كل مبيعاتهم وصادراتهم بإفريقية، كما أن إدارة الديوان كانت تخضع لنفس القواعد والشروط في كل الموانئ المفتوحة للمسيحيين(١).

ويبدو أن الضرائب الجمركية منذ عصر بني زيري كانت تحمل بعض الأسماء الخاصة بها، مثل مغرم "أكثر من المتعارف عليه" في مدينة تونس، كما ذكرت بعض المصادر أن كلمة "ملازم" كانت تعني في عصر المازري الأداء الموظف علي نبات الصباغ المصدر إلي صقلية. كما أن السلع المستوردة من الإسكندرية الي تونس عبر بنزرت كانت خاضعة لأداءات جمركية تُسمي "الأخماس واللوازم "(٢). وقد ورد في وثائق الجنيزة عبارة " واجب مُشتَري " – نوع من ضريبة الشراء – في إشارة إلي المهدية عام ١١٠٠م، وكانت حوالي ٢,٧٪ من ثمن البضاعة(٣).

وكانت الضرائب الاساسية الجمركية المشهورة في بلاد المغرب عامة حدها الأدنى١٠ ٪ علي الواردات و٥٪ علي الصادرات، أما الحد الأقصى فقد كان أحياناً يصل إلي ٣٥ ٪، وإن كان يؤخذ من كلام القلقشندي "أن الرسوم كانت تتراوح بين ١٠ ٪ و٢٠٪، وهذا بطبيعة الحال فضلاً عن الرسوم الإضافية التي تدفع عند استخدام المترجمين والحمالين وعمليات الوزن وحق الرسو بالموانئ" (٤).

فقد كانت رعايا وتجار جمهورية بيزة التي كانت تشمل في القرن الثاني عشر الساحل من (Spezzia) إلى (Cevita - Vecchia) تؤدي عشرة في المائة . وذلك منذ عهد عبد الله بن خراسان حاكم تونس فلا زيادة في الضرائب الاصلية، كما أمر

---

١) هوبكنز: المرجع السابق، ص٧٤، عبد الهادي التازي: مرجع سابق، جـ٥، ص٢٤٥.

٢) المازري: مصدر سابق، ص ٢٨١ – ٢٨٣، الونشريسي: مصدر سابق، جـ٨، ص٢٩٩، الهادي روجي ادريس: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٣٣.

٣) أمين توفيق الطيبي: مرجع سابق، ص١٤٧.

٤) عبد الحليم عويس: مرجع سابق، ص٢٢٨.

عبدالله بن خراسان في فترة حكمه لتونس بمميزات ضرائيبيه اخري لتجار بيزه حيث أن" القبضة التي توخذ من التجار وجرت بها العادة فقد هونّاها وامرنا بلطفها ورشحنا لخدامنا ان كل تاجر من بلدكم متي وصل بسلعة ولم يتّفق له معها انه معافي فيها مرفوع عنه الواجب واللازم في امرها يعيدها الي بلده علي غرضة مراده"، وقد ظلت ضريبة تجار بيزه هكذا حتى عام٥٥٢هـ/١١٥٧م وما يليها(١).

أما جمهورية فلورنسا أو البندقية فما داموا يتاجرون تحت علم بيزة فإنهم يؤدون علي بضائعهم ١١ ١/٢ ٪، ويعتقد أن هذه النسبة تصل الي خمسة أو أربعة في المائة عن الأحجار الثمينة بالنسبة للفلورانسيين وكل المسيحيين. أما مدينة أو جمهورية جنوة ففي عام ٥٥٥هـ/١١٦٠م طبقاً للمعاهدة المبرمة مع الخليفة الموحدي تسدد جنوة ٨٪ في كل المغرب باستثناء بجاية حيث يصل المعدل الي عشرة في المائة، وقد كان ربع دخل الجمارك مخصصاً ببجاية لجمهورية جنوة، وقد طبقوا ذلك علي وارداتهم ابتداءاً من معاهدة ٦٣٣هـ/١٢٣٦م، واستمر تطبيق هذه النسبة علي الجنويين علي الأقل في معاهدة٦٠١ هـ/ ١٢٠٥م وما يليها(٢). أما صقلية فقد كان هناك حرص على التاكيد على المعتاد من عشور التجارة، وظل ذلك حتى عقد الاتفاقية التي وقعت بين ملك صقلية فردريك الثاني وابو زكريا يحي الحفصي عام١٢٣١م، وكانت لمدة عشر سنين(٣).

---

١) رسالة من من عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الحقّ بن ابي خرسان الي حكومة بيزه، ص١ – ٦، رسالة من حاكم بيزة إلي الخليفة ألموحدي أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، ص٧، ٨، اتفاقية سلام وتجارة بين المنصور الموحدي وحكومة بيزة، ص١٧ – ٢٢،

Un Traité de commerce conclu pour trente ans entre la république de Pise et le roi de Tunis, Abou-Zakaria-Yahia, fils d'Abou-hafs,pp٣١- ٣٥ .

٢) Un Traité de paix et de commerce négocié pour quarante ans par Pierre Delfino entre la république de Veise et le roi de Tunis , pp١٩٦ – ١٩٩ , Hilmar C. Krueger ; Op,Cit, p٣٧٩ , عبد الهادى التازى: مرجع سابق ، جـ٦، ص٢٥٣.

٣)

وبالإضافة إلى الحقوق الأساسية التي دُفعت على استيراد وتصدير البضائع، كانت هناك حقوق إضافية بعضها تحدده المعاهدات ، وبعضها يطبق حسب الأعراف المحلية، وكانت طبيعة هذه الحقوق في أغلبيتها مبهمة. وقد كانت قيمة الرسوم تترك إلى اتفاق التجار المسيحيين والموظفين العرب. وكانت كل المعاهدات تُشير إلى هذه الحقوق الإضافية التي كان المسيحيون يعبرون عن استيائهم منها، ويطلبون بإلغائها أو تغيير استعمالها، وهناك عبارات تتضمنها معاهدات البيزيين والكاطلانيين ، تخص هذه الحقوق الإضافية. وقد كانت هذه الحقوق الإضافية، هى موضوع طلب ملوك أراغون بإعفاء أو تخفيض نسبتها لصالح رعاياهم، ويعبَّر عن الحقوق الإضافية بكلمة (Matzems)، وعن الأساسية بكلمة (Deime)، وتذكر إحدى المعاهدات ستة أو سبع أنواع من الحقوق الإضافية ( Matzems )، لكن هذه الحقوق كانت متعدَّدة ولا يعرف بالضبط عددها[١]، وهذه هي المشهورة منها:

وأولها الترجمة التي جاءت في بعض المعاهدات، وكانت حقوق الترجمة تحصل كلما طلبت خدمات ترجمان، وخاصة في المبيعات التي تتم خارج الحلقة، وبواسطة الترجمان بحضور المراقبين، وكان معدّل الحقوق ٥ مليار يزى ( Miliaresie ) لقيمة مائة دينار بيزنطى، من البضائع المباعة، وتساوى في معاهدات فلورانس نسبة من قيمة البضائع . ولا تشير المعاهدات القديمة إلى حقوق الترجمان، إلا بصفة مبهمة، أو لا تذكرها تماماً، وتهدف معاهدات بيزه وجنوة وأراغون إلى دقة وتفاصيل النصوص البندقية، فيما يخص حقوق الترجمة، وقد استمر الجنويون في أداء هذه الحقوق حتى القرن الخامس عشر[٢].

---

Un Traité de paix et de commerce conclu pour dix ans entre l'empereur Frédéric II, roi de Sicile, et Abou-Zakaria-Yahia, roi de Tunis , pp١٥٣ – ١٥٥ .

١) عبد الهادى التازى: مرجع سابق، جـ٦، ص٢٥٣.

٢) اتفاقية صلح بين الخليفة الحفصي ابي يحيي زكرياء وحكومة بيزه في عام ٧١٣ هـ، ص٨٦ – ٩٧، Traité de paix et de commerce conclu pour dix ans entre Jacques Ier, roi d'Aragon et de Majorque seigneur de =Montpellier, et Abou-Abd-Allah-Mahommed-

ومن الضرائب الإضافية أيضاً (حقوق الإرساء والملاحة) وهو الحق الوحيد الذي ذكره في الأعراف البحرية في القرون الوسطى، بجميع أسمائه وأشارت إليه بعض المعاهدات، وحرصاً على تلافى التجاوزات المحتملة فرضت معاهدات أراغون، بأن لا تؤخذ من السفن الراسية بموانئ المغرب المجذاف والشرع، وقد إتخذ هذا الإجراء إحتياطياً ، لضمان أداء الأجانب للحقوق قبل الخروج من الموانئ(١) .

كذلك من هذه الضرائب أو الحقوق الأساسية (حقوق الحمّالة) ويتعلق الأمر بأجر الذين ينقلون البضائع من الضفَّة إلى الجمارك أو داخل المدينة(٢)، كذلك من هذه الحقوق (حقوق المجذّفين) والتي كانت تحرص الجمارك على أن لا يطلب المجذّفون أجوراً أكثر من التي حددتها العادة والعقل. كذلك حق (تصفية الحساب) وهو نفس الحق السابق، إلا أنه يشار إليه بصفة مختلفة في بعض المعاهدات مع الكاطلان(٣).

---

El-Mostancer-Billah, roi de, pp٢٨٠ – ٢٨٤, Un Traité conclu pour quinze ans entre Pierre III, roi d'Aragon et de Sicile, et Abou-Hafs, roi de Tunis, pp٢٨٦ – ٢٩١, ، عبد الهادى التازى: مرجع سابق، جـ٦، ص٢٥٣

١) Traité de paix et de commerce conclu pour dix ans entre Jacques Ier, roi d'Aragon et de Majorque seigneur de Montpellier, et Abou-Abd-Allah-Mahommed-El-Mostancer-Billah, roi de, pp٢٨٠ – ٢٨٤ , Un Traité conclu pour quinze ans entre Pierre III, roi d'Aragon et de Sicile, et Abou-Hafs, roi de Tunis, pp٢٨٦ – ٢٩١,

٢)عبد الهادي التازي : مرجع سابق ، جـ٦ : ص٢٥٤ Abdellatif Sabbane : Op.cit , p .٣٠٠

٣) Un Traité de paix et de commerce conclu pour dix ans entre Jacques Ier, roi d'Aragon et de Majorque seigneur de Montpellier, et Abou-Abd-Allah-Mahommed-El-Mostancer-Billah, roi de Tunis, pp٢٨٠ – ٢٨٤ , Un Traité conclu pour quinze ans entre Pierre III, roi d'Aragon et de Sicile, et Abou-Hafs, roi de Tunis, pp٢٨٦ – ٢٩١,

obeikan.com

ومن الحقوق أو الضرائب الإضافية أيضاً (حقوق الميزان والإيداع) فقد أقرت الأعراف تحصيل بعض الضرائب نقداً أو عيناً، على عمليات الوزن، وكانت ضرائب مماثلة تفرض على باقي البضائع، وكانت تؤدى عن كل (بالة) من الثوب حصة، وعلى كل مائة جرة من الزيت نصف جرة، كما يؤدى نصف مليار يزى عن مائة قطعة من جلود الخروف وسبعة بيزانطى ومليار يزى عن مائة قطعة جلد بقر، وسبع مليار يزى ونصف عن كل قنطار من شمع العسل، وأخيراً نسبة عامة وإضافية تعادل ثمانية مليار يزى عن قيمة مائة بيزانطى، عن مجموعة كل البضائع التي يشترها المسيحيون[١]. كما كانت هناك حقوق تعُرف بـ(حقوق الرطل) وهى أن تقتطع جزءاً من البضائع التي تقدر بالأكياس أو بالبالات، ويعتقد أن هذه الحقوق هي نفسها التي تعرف بحقوق الميزان، وقد أحرز ملوك أراغون وميورقة على الإعفاء من حقوق الرطل[٢].

ومن الحقوق أو الضرائب الإضافية (حقوق الخُمس) فقد كان بإمكان صاحب السفينة الأجنبي تصدير جزء من بضائعه معفاة من الرسوم تساوى أجرة كراء للسفينة شرط أن يكترى هذه السفينة من إفريقيا، ولكن يظهر أنه كان على صاحب السفينة أداء حقوق الخُمس إلى الديوان ٥٪ من قيمة الكراء، وهكذا فإن ربح الإعفاء الممنوح للتصدير لا جدوى فيه تقريباً.

---

١) اتفاقية صلح بين الخليفة الحفصي ابي يحيي زكرياء وحكومة بيزه في عام ٧١٣ هـ ، ص٨٦ – ٩٧، عبد الهادي التازي: جـ٦، ص٢٥٤، ٢٥٥

٢) Un Traité de paix et de commerce conclu pour dix ans entre Jacques Ier, roi d'Aragon et de Majorque seigneur de Montpellier, et Abou-Abd-Allah-Mahommed-El-Mostancer-Billah, roi de Tunis, pp٢٨٠ – ٢٨٤ , Un Traité conclu pour quinze ans entre Pierre III, roi d'Aragon et de Sicile, et Abou-Hafs, roi de Tunis, pp٢٨٦ – ٢٩١, عبد الهادي التازي: مرجع سابق، جـ٦، ص٢٥٥.

obeikan.com

أما حق أو ضريبة (المطزْم ، Matzem ) لم تحدد طبيعة هذه الحقوق بدقة، ولعلها تخص بصفة عامة كل الحقوق الإضافية، التي تعرض عند نقل ووزن وإيداع البضائع على ما تقدم. أما الدَّلْم ( Ladelme ) بالكاطلانية – أيضاً – فتعنى الحقوق العامة الجارى بها العمل، التي تفرض على الواردات والصادرات كما أسلفنا(١).

ونتيجة للعلاقة الطيبة بين بيزة وبني خراسان، فقد كان هناك فيما يتعلق بالبضائع التي يستوردها رعايا بيزة ولكنهم لا يتمكنون من بيعها موُظفاً عليها (كما هو الشأن بالنسبة إلي المبيعات) أداء قدرة واحد من عشرة ، فإنها ستُعفي في المستقبل من أي أداء ويمكن نقلها بكل حرية. وكان الشب الذي يصدره رعايا بيزة وخارج إفريقية بدفع ٣٨ ميلارا وثلث الميلار عن كل قنطار، وسيُعفي ابتداء من ذلك التاريخ من أي أداء(٢).

من جانب آخر فمن بين جميع الدول الأجنبية، لم تتحصل من سلطان إفريقية علي دفع ضريبة نقدية سنوية سوي صقلية، وقد ظلت أسباب إبرام الاتفاقية المتعلقة بتلك الضريبة غامضة، ويبدو أن تاريخها علي الأقل في شكلها النهائي، يرجع إلي عهد كلّ من السلطان أبي زكرياء الأول والأمبراطور فريدريك الثاني؛ وينبغي أن نرفض بصورة تكاد تكون قطعية الرأي القائل بأن ذلك التصرف الحفصي يعتبر بمثابة التبعية السياسية، إذ أنه يتضمن في المقابل ضمان حرية الملاحة وحرية التجارة، وربما بعض المرابيح التي كان يدرّها علي الخزينة الإسلامية ، ديوان البحر المموّل علي وجه الخصوص بواسطة النصارى بالخارج. والراجح أن تونس لم تكن

---

١) Un Traité de paix et de commerce conclu pour dix ans entre Jacques Ier, roi d'Aragon et de Majorque seigneur de Montpellier, et Abou-Abd-Allah-Mahommed-El-Mostancer-Billah, roi de Tunis, pp٢٨٠ – ٢٨٤ , Un Traité conclu pour quinze ans entre Pierre III, roi d'Aragon et de Sicile, et Abou-Hafs, roi de Tunis, pp٢٨٦ – ٢٩١, ، عبد الهادي التازي: المرجع السابق، جـ٦، ص٢٥٥

٢) الهادي روجي ادريس: مرجع سابق، جـ٢، ص٢٩٨ – ٢٩٩.

obeikan.com

تسدد تلك الضريبة إلي صقلية بصورة منتظمة ودائمة، وقد لزم تنظيم صليبية لويس التاسع لإجبار المستنصر على استئناف دفع تلك الضريبة، وبعد اندلاع ثورة عيد الفصح بصقلية وخلال تلك الفترة تمكنت مملكة أرجونة من الحلول محل صقلية والحصول على ضريبة سنوية من الدولتين الضعيفتين والمنفصلتين تونس وبجاية، وذلك حسب ما يُفهم من معاهدة ١٢٨٤م(١).

ويمكننا أن نذكر بعض أرقام الضرائب المتحصلة خلال فترة البحث والمثل لذلك ما يورده ابن خلدون من أن " أعشار بعض أعمال الساحل بناحية صفاقس، علي عهد المعز بن باديس، كان يبلغ خمسين ألف قفيز(٢)؛ كما أن مدينة بونة في عصر البكري كان مستخلص الضرائب بها غير جباية بيت المال عشرون الف دينار(٣). تُعطي جربة – زمن الحسن الوزان – عشرين ألف "دوبل " من مداخيل الإتاوات والمكس نظراً للتجارة الكبيرة بها(٤).

وكما كان للحكومات الاسلامية – ومن بينها المغربية – الحق في فرض ضرائب جمركية علي تجار النصاري كانت هناك معاملة بالمثل من حكومات النصاري مع تجار المسلمين في أراضي النصاري وموانيهم، يقول ابن جبير: " وللنصاري علي المسلمين ضريبة يؤدونها في بلادهم، وهي من الأمنة على غاية. وتجار النصاري أيضاً يؤدون في بلاد المسلمين علي سلعهم "(٥).

---

١) Un Traité conclu pour quinze ans entre Pierre III, roi d'Aragon et de Sicile, et Abou-Hafs, roi de Tunis, relativement au commerce de leurs États et au tribut dû par le roi de Tunis au roi de Sicile depuis le règne de Charles d'Anjou. Capmany, pp٢٨٦ – ٢٩١روبار برنشفيك: مرجع ساب ، جـ٢، ص٤٥٢ – ٤٥٤ .

٢) العبر: جـ٦، ص١٥٩، سعد زغلول عبد الحميد: مرجع سابق، جـ٣، ص٤١٢، ٤١٣.

٣) البكري: مصدر سابق، ص٥٥، جورج مارسيه: مرجع سابق، ص٢١٠، ٢١١.

٤) الحسن الوزان: مصدر سابق، جـ٢، ص٩٥.

٥ ) رحلة ابن جبير: ص٢٦٠.

obeikan.com

فقد كان التجار وأصحاب المراكب الأجنبية الواصلة إلى الموانئ الإيطالية يدفعون رسماً عند الوصول . فقد ورد في سجلات Registrum Curiae archiepiscoparis في جنوي عام ١١٤٣م أنه فُرض اثنان وعشرون ونصف سوليدي Solidi (وتدعى عشراً ) على المراكب القادمة من المشرق والإسكندرية، ومختلف موانئ شمال أفريقية، والماريا وبعض المناطق الأخري[١].

وفي ميناء مدينة طرابلس الشام كان تجار المغرب يدفعون العشر لحاكم تلك المدينة علي بضاعتهم المُرسلة هناك [٢]. وقد تعرض تجار المغرب لزيادة في الضرائب في بعض مناطق بلاد الشام في فترة الاحتلال الصليبي للمنطقة، معاقبةً لهم على مشاركتهم إخوانهم المسلمين الجهاد ضد الصليبيين: "وقال الإفرنج: إن هؤلاء المغاربة كانوا يختلفون علي بلادنا ونسالمهم ولا نرزأهم شيئاً، فلما تعرضوا لحربنا وتألبوا مع إخوانهم المسلمين علينا وجب أن نضع هذه الضريبة عليهم، فللمغاربة في أداء هذا المكس سبب من الذكر الجميل في نكايتهم العدو يسله عليهم ويخفف عنتهم عنهم "[٣].

كما تعرض التجار المغاربة لضرائب إضافية في بعض البلاد الإسلامية ، ففي مصر كان التجار المغاربة يلتزمون شأن غيرهم من تجار البلاد الأخرى دفع مكس عند دخولهم ميناء الإسكندرية، يقدر بعشر ما لديهم من البضائع والسلع[٤]، وكان الفاطميون في مصر يضيقون علي الحجاج والتجار المغاربة ، ويأخذون العشور من تجار المسلمين الغرباء مما أدي الي معاملة الموحدين لهم بالمثل[٥]، وقد استمر هذا

---

٢) اوليفيا ريمي كونستبل: مرجع سابق، ص٢٠٧.

٢) ناصر خسرو: مصدر سابق، ص٥٨، اوليفيا ريمي كونستبل: مرجع سابق، ص٢٠١، ٢٠٢.

٣) ابن جبير: مصدر سابق، ص٢٧١.

٤) حامد عمار: علاقات مصر بالدول الافريقية، ص٦٨، ٦٩.

٥) عصمت عبد اللطيف دندش: مرجع سابق، ص٢١٧.

حتى عصر ابن جبير حين دخل الإسكندرية أثناء رحلته، فقد واجه ابن جبير ومن معه من التجار ضريبة الأموال فقد سئل أمناء الميناء كل واحد منهم عما لديه من سلع أو ناض ليؤدي زكاة ذلك كله دون أن يُبحث عما حال عليه الحول من ذلك أو ما لم يحل[١]. ويبدو أن اضافة ضرائب اضافية على تجار المسلمين في بلاد إسلامية وكأنهم تجار من أهل الذمة كان معروفاً انذاك[٢].

ولم يكن يستطيع التجار والمسافر أن يتحركوا بكل حرية بين الدول وبعضها، الا بعد ان يحمل كل واحد منهم "براءة"، ولم تكن هذه البراءة جواز سفر ولكنها كانت شهادة تثبت بأنه دفع ما عليه من ضرائب مستحقة[٣].

إذن وجدنا أن التقلبات في الأسعار تنشأ نتيجة التغيرات في العرض وفي الطلب (الذي يتضح في الخطابات)، وظروف الحرب أو خطر القرصنة الكبير أو نقص المؤن بسبب المجاعة والقحط، أو عدم وصول السفن المتوقع وصولها أو وصول سفن غير متوقعة. أما فيما يخص الضرائب فقد وجدنا أن الضرائب الاساسية الجمركية المشهورة في بلاد المغرب عامة كان حدها الأدنى ١٠ ٪ علي الواردات و٥٪ علي الصادرات ، أما الحد الأقصى فقد كان أحياناً يصل إلي ٣٥ ٪. ويبدو أن الضرائب الجمركية منذ عصر بني زيري كانت تحمل بعض الأسماء الخاصة به، مثل "الملازم" الذي كان مفروضا علي نبات الصباغ المصدر إلي صقلية. إلا أنه كان هناك أنواع من الضرائب أو الحقوق الإضافية المحصلة عن الترجمة ووزن البضائع وحقوق الإرساء وبعض الخدمات فلم تكن لها الطابع الدقيق الذي كان للحقوق الأساسية، كما أن المعاهدات لا تحدد معدل هذه الحقوق فهي تختلف حسب ظروف وتقاليد الدول. من جانب اخر فمن بين جميع الدول الأجنبية، لم تتحصل من سلطان

١) ابن جبير: مصدر سابق، ص١٣.
٢) المصدر السابق: ص٥٦.
٣) جواتين: مرجع سابق، ص٢١٣.

obeikan.com

إفريقية علي دفع ضريبة نقدية سنوية سوي صقلية، وقد ظلت أسباب إبرام الاتفاقية المتعلقة بتلك الضريبة غامضة. وكما كان للحكومات الاسلامية – ومن بينها المغربية – الحق في فرض ضرائب جمركية علي تجار النصاري كانت هناك معاملة بالمثل من حكومات النصاري مع تجار المسلمين في أراضي النصاري وموانيهم.

من خلال ما سبق تم توضيح جوانب المعاملات التجارية البحرية المختلفة، سواء وسائل تلك المعاملات، أو مقاييسها أو أشكالها. كما تبين من خلال هذا الفصل أن النشاط التجاري البحري لبلاد المغرب الأدنى كان قائماً على نظام سلعي متعدد، تحكمه الصادرات والواردات، كما اتضح من خلال هذا الفصل أيضاً أن أسعار وضرائب تلك السلع كانت ذات أثر كبير في تضخم النشاط التجاري البحري أو انحصاره من وقت لآخر ومن مكان لآخر، فقد تحكمت في تلك الأسعار والضرائب عوامل متعددة جعلتها غير ثابتة ومتغيرة طوال فترة البحث، مما ترتب عليه عدم ثبات باقي نواحي النشاط التجاري.

obeikan.com